حسني سيد لبيب

رشيد الذوادي
أديب من تونس

دار الإتحاف للنشر

الإهداء

إلى الصديق الوفي

رشيد الذوّادي

أحد الأصوات الأدبية المعاصر في تونس الشقيقة

الباب الأوّل

ملامح شخصيّة ورحلة قلم

يحتار المرء في تحديد شخصية رشيد الذوادي، حين يتعلّق الموضوع برسم الملامح والسمات.من أي زاوية نلقي الضوء الكاشف على الصورة.. هو باحث بالدرجة الأولى، ينقب في بطون الكتب القديمة والجديدة علىالسواء ليتحف قارئه ببحث أدبي يجمع بين الفائدة والطرافة.. يخفف صرامة المنهج البحثي، جوالا في كتب الأدب ودواوين الشعراء. يغرم غراما شديدا بتقديم شخصيات أدبية وفكرية، من بترزت مسقط رأسه، ومن تونس ومصر. كما يطوف بك في ربوع الوطن العربي، متحدثا عن أبرز أعلامه. وهو في كل ما يكتب، يبين عن حب وإعجاب لكل شخصية يكتب عنها.

يغشى منتديات الأدب في تونس، ولا يتردد في الإقلاع على متن طائرة متجهة إلى القاهرة، ليترل في أحد فنادقها، بدءا بـــ (جرائد أوتيل)، مقصد العرب في الغالب، وكارلتون، وأمية، وريشموند، وغيرها. في المنطقة المحدودة بشوارع 26 يوليو وطلعت حرب وشريف والألفي. يشده الحنين إلى التروح للقاهرة، في جولة أدبية، يتردد خلالها على المؤسسات الصحفية. يتصل بأصدقائه الأثيرين:

كـــ د.محمد عبد المنعم خفاجي، ود.عبد العزيز شرف، ووديع فلسطين، ورابح لطفي جمعة، وجمعة محمد جمعة، ود.مدحت الجيار، وكاتب هذه السطور،و يزور نجيب محفوظ، وأنيس منصور، وتوفيق الحكيم، ومحمد جبريل، وجمال الغيطاني، ود.نعمات أحمد فؤاد، ود.سمير سرحان، وغيرهم..

حين يزور القاهرة، نجده يحمل معه عطر الأحباب من تونس، يحمل معه عبق التاريخ الإسلامي، بأصالته وعراقته، يحمل معه السلام والمودة من الإخوة التوانسة إلى أشقائهم المصريين. يحمل معه أريج بنزرت، وتونس، والقيروان، وسوسة، والحمامات، وكل المدن التونسية. يحدثك عن الأدباء المصريين بنفس الطلاقة التي يحدثك بـــها عن التونسيين.

يغشى مقاهي القاهرة. يجالس أصدقاءه الأدباء.. يسأل عن الأحوال وآخر الإبداعات والإصدارات. تجده زبونا في مقاهي جروبي والفيشاوي وريش وغيرها.

يتغدى الكباب أكلته المفضلة، أو الدجاج أكلته الخفيفة، ويتعشى طبقا من المهلبية بالمكسرات، مع قطع صغيرة من البيتزا. القهوة التركية شرابه المفضل، يليها الشاي الأخضر الّذي يجده في مقهى الفيشاوي بالحسين، وهو مشروب شائع في تونس، ويقال إن له فوائد صحية.

عف اللسان. ودود بطبعه. لا يحمل ضغينة لأحد. الإبتسامة لا تفارقه. الوفاء ديدنه الّذي يتميز به. إذا تعرفت عليه، لا تملك إلا أن تحبه، ولا تندم على الوقت الّذي تقضيه معه. فهو من الشخصيات التي تتودد إليك بحلو الحديث وطيب المعشر. أسرني وفاؤه لأصدقائه، ودماثة خلقه.

أذكر لقائي معه أول مرة. زارنـــي في مترل والدي عام 1981م. خففت إليه، المسافة لا تبعد أكثر من عشر دقائق سيرا على الأقدام لي نفسه، واحد من كتّاب مجلة "الأديب" اللبنانية. جمعتنا "الأديب" الّتي كنا ننشر فيها، فأخذ عنواني من ألبير أديب صاحب المجلة. وكانت زيارته لي مفاجأة أسعدتني. وتوثقت عرى الصداقة بيننا منذ ذلك اليوم.

سألني عن (رابطة الأدب الحديث)، فصحبته إليها، حيث التقينا برئيسها الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، وأمينها العام الدكتور عبد العزيز شرف.كما صحبته لزيارة الكاتب رستم كيلاني. وتعددت اللقاءات والزيارات والمودات.

يزاوج بين اهتمامين أساسيين: التعريف بأعلام الأدب التونسي، والكتابة عن الأدباء المصريين، لكنني أجده أيضا يكتب عن أعلام الأدب في المغرب والجزائر والعراق وسوريا والسعودية وموريتانيا وغيرها...هو كاتب عربي الأرومة، يتنفس أريج العروبة

ويشدو بـــها. لا يعرف الخصام أو الحدة في آختلاف الرأي مع من يحاورهم. إن تحدث عن أديب أظهر أجمل ما عنده. مغرم بالتعرف على الأحياء الشعبية وتاريخها.

رشيد الذوادي أديب متميز، تعرفت عليه خلال زيارته للقاهرة في نوفمبر 1981، ثم تعددت بيننا اللقاءات. تشاء الظروف أن تيسر له سبل الزيارة لمصر، فما إن يحل بـــها، حتى يبادر بالإتصال بي. وهو في كل زياراته، لا يعتبر نفسه ضيفا على مصر فحسب، إنما هو يعتز كل الاعتزاز لو آعتبرته واحدا من أهلها. كان له الفضل في اطلاعي على أعلام الأدب التونسي، وأشار إلى تاريخ تونس في حقبها المختلفة، فأجده في كل ما يقول عاشقا لتونسه، مترنما بحب بلاده، فأكبرت فيه هذا الإحساس.

كما أطلعني على مؤلفاته وأهداني كتبا لآخرين، فعشت مع الأدب التونسي وتاريخ تونس، بطريقة لم تتح لي من قبل. فأبواب الإتصال الثقافي بين البلاد العربية شبه موصودة. الكتاب هو السلعة الوحيدة التي يصعب الحصول عليها، في عصر الانفتاح والاتصالات القمرية ورحلات الطيران والبواخر اليومية، تحمل من البضائع صنوفا شتى، تصل الشرق بالغرب، تمد الجسور، تعقد الصلات والصفقات، فيما عدا الكتاب، السلعة البائرة في سوق المعاملات- للأسف الشديد-التي لا يستحب رواجها، ربما لأن عائد الربح لا

يغري تاجرا وأمامه منافذ أخرى للربح السريع. ثمة خوف من الكتاب، بما يتضمنه من أفكار يخيل للبعض أنها مفسدة للعقول، بينما شرائط الفيديو واسطوانات الكومبيوتر وأفلام السينما واستعراضات العري والفسق تملأ الكرة الأرضية من أقصاها إلى أقصاها، سرا أو جهارا.

أعترف أنني لا تقع عيناي على كتاب تونسي، أو مقال لكاتب تونسي، أو مؤلف عن تونس، إلا فيما ندر، بآستثناء يؤكد القاعدة. فكانت صداقتي برشيد نافذة أطل منها على تونس الخضراء..فاستبطت بالنسائم الرقيقة، وأقمت للأدب التونسي مهرجانا في بيتي وفي قلبي.

في كل زيارة لرشيد، يعمل جاهدا على تمتين أواصر الصداقة مع الأدباء المصريين، فصادقه الكثيرون. شخصية لطيفة، تجتذبك وتستهويك، تتبادل الحديث معها بأريحية وطلاقة، وفي زمن قياسي، عرف رشيد والتقى مع نخبة من أعلام الأدب والفكر في مصر، وأجرى أحاديث أدبية معهم ونشرها في صحيفتي "العمل" و"الصباح" التونسيتين، ومجلات "الفكر" —قبل آحتجابها— و"المسار" و"الإتحاف"، أمثال :توفيق الحكيم، ونجيب محفوظ، وإحسان عبد القدوس، وثروت أباظة، ود.محمد عبد المنعم خفاجي، ود.عبد العزيز شرف، ورستم كيلاني، وكاتب هذه

السطور. ثم جمع أحاديثه في كتاب صدر بالقاهرة عام 1986 بعنوان: "أحاديث في الأدب" .وانخرط في (عضوية رابطة الأدب الحديث)، وهي الرابطة التي سألني عن مقرها، واعتبرها نقطة بداية للإطلال على الأدب الحديث في مصر، بآعتبارها رابطة عريقة، بتاريخها الأدبي المعروف.

وفي الرابطة، ألقى محاضرات عن معالم الأدب التونسي وأبرز أعلامه. وكان له الفضل في تعريف أدباء تونس بالتيارات الحديثة في الأدب المصري. فهو في مصر متحدث لسن عن أدباء وعظماء بلاده، وهو في تونس متحدث لسن عن أدباء مصر وعظمائها. وفي كلا الحالين، يكتب ويتحدث بحب وسماحة، فيختلط على المستمع الأمر، فلا يستبين الخيط الرفيع بين الحالين...أهو مهتم بالأدب التونسي أم بالأدب المصري؟ لكنني أنظر إليه بمنظور مغاير، فأعتبره مندوبا ثقافيا لمصر في تونس ومندوبا ثقافيا لتونس في مصر، في مهمة جليلة بعيدة عن السياسة وأهوائها، قاصدا دنيا الأدب الخضراء، بسموها ورقيها.

لهذا كان رشيد الذوادي حبيبا إلى قلبي، قريبا إلى نفسي، صديقا من طراز نادر، فباركت خطواته،وأشدت بنشاطه.

* * *

يهتم رشيد بالدراسات الأدبية والتاريخية والنقدية، ويتتبع

أخبار وأنشطة الأدباء العرب من خلال الصحف والدوريات والدراسات. ومن الأدباء الّذين تأثر بهم: د.طه حسين، وعباس محمود العقاد، ونجيب محفوظ وتوفيق الحكيم ود.محمد عبد المنعم خفاجي من مصر، وأبو القاسم الشابي ومحمد العروسي المطوي ومحمد مزالي والبشير بن سلامة من تونس.

* * *

رشيد الذوادي أديب أبحر في تاريخ بلاده، وتاريخ الأمة العربية. استقرأ سطور الكفاح من أجل التحرر والاستقلال، من خلال سير زعماء بلاده، وزعماء الأمة العربية والإسلامية. أثرى المكتبة العربية بمؤلفات قيّمة تنوعت بين الأدب والتاريخ، عن وطنه تونس ووطنه العربي. كتب عن مدينته: "هذه بنزرت" مستعرضا معالمها وتاريخها، وكتب "بنزرت أرض البطولات"، وكتب "عظماء من بلادي"، وهي سلسلة كتب للأطفال تناولت أعلاما في التاريخ التونسي، صدرت في عشرين كتابا.

وتناول في كتابه "أعلام من بنزرت" نخبة من المفكرين أمثال :حمودة بوقطفة،وعلي اليشريطي الترشيحي، ومصطفى بن عبد الكريم،وعلي الخماسي، ومحمد الحبيب الذوادي.والأخير شقيق رشيد، توفي في سن صغيرة، لم يتجاوز عمره الثالثة والعشرين، وكان قاصا نشر قصصه في المجلات التونسية.

ولع بالجماعات الأدبية ونشأتها، حتى أنه خصص مؤلفا من 216 صفحة في طبعته الأولى، للحديث عن "جماعة تحت السور". أشار في كتابه إلى الأدب التونسي الحديث، وظروف نشأة هذه الجماعة الأدبية، التي آتخذت من مقهى "خالي علي" ملتقى لأعضائها، ثم تحدث عن الأدباء والصحفيين وغيره من الشخصيات التي خرجت من "تحت السور"..أمثال :عبد الرزاق كرباكة، ومحمد العريبي، وعلي الدوعاجي، ومحمود بيرم التونسي، وزين العابدين السنوسي، ومصطفى خريف، والهادي العبيدي.

يلخص الذوادي تعريفه لهذه الجماعة بأنها "مجد متكامل الصفحات" يحمل في طياته روحا أصيلة، هزأت من الاستعمار، وسخرت من البتر والقطيعة، وقضت على التخوف النفساني في فترة صعبة مرت بـــها تونس، وحملت لواء الدعوة إلى الإصلاح وإلى الحفاظ على مقومات شعبنا، وواجهت التحديات بشجاعة ورباطة جأش، وساعدت على نشر "العربية" ورقي "الدارجة"، وكان لها إسهام في تعميق مفاهيم الفن في شتّى صوره وأشكــاله" (1). ولجأت إلى النقد من أجل النهوض بالبلاد، ومقاومة تيارات الإذابة والتشويه. وآعتبر الذوادي مقهى "خالي علي"، الّذي نشأت فيه هذه الجماعة، بداية تأريخ جديد للأدب التونسي. ويرجع لها الفضل في "ظهور القصة بشكلها التقني"، وتطوير الأغنية والمسرحية

والقصيدة وأشكال الرسوم، ورقي سائر الفنون عامة" (2).

أوجز في كتابه "إشارات أدبية" الحديث عن جماعات أدبية أخرى في تونس ومصر. تحدث عن جماعة الديوان وأبو للو، وجماعة تحت السور وجماعة رابطة القلم الجديد كما تحدث عن صالونات الأدب.

ثم أصدر كتابه الموسوم "أدباء تونسيون"، عن نخبة من الأدباء التونسيين، مستعرضا نشاطهم الأدبي والصحفي: مصطفى آغة، سعيد أبو بكر، محمد بوشربية، محمد الشاذلي خزنة دار، البشير الفورتي، محمد العربي الكبادي، زين العابدين السنوسي، حسن حسني عبد الوهاب.. يقول عنهم في مقدمة الكتاب :"وهم من جيل واحد جمعتهم محبة تونس والإخلاص للعربية والاعتزاز بتراث الأجداد" (3). ركز جل آهتمامه، من خلال مؤلفه، على تقصي سير هؤلاء الأعلام... نشأهم وثقافتهم ونشاطهم الأدبي والصحفي ومؤلفاهم... وكان الكفاح الوطني سواء بالكلمة أو بالنشاط السياسي، أهم ما يشغل الذوادي في تناول حياة الأدباء، إمتدادا لخطه الوطني الذي أبرزته مؤلفاته الأخرى.. مثل كتابه عن "علي البلهوان" الذي كانت له مواقف مشرفة في ميداني السياسة والأدب. وفي مقدمة الكتاب، تحدث الذوادي عن حركة التغريب والتنصير التي حاولها الاستعمار في المغرب العربي، حيث شجع

الخلافات بين القبائل وآنتزع الأرض، وحوّل الجوامع إلى كنائس، وفرنس التعليم، وطمس الأسماء والمعالم التاريخية، وحرّف التاريخ وخنق الحرية. فكانت ردود الفعل أقوى من هذه المؤامرات، ونشأ رجال في مجالات شتى لتأصيل التفكير وإثبات الشخصية القومية والحضارية أمثال: أسد بن الفرات وآبن عرفة والتيفاشي وابن الجزار وسحنون والقابسي والشابي والحداد والكبادي والبلهوان والخضر حسين ومحمد العروسي المطوي والبشير بن سلامة.

علي البلهوان مناضل وزعيم قاوم المستعمر، أكثر من ربع قرن.. "كافحه بالقلم واللسان... وبالعمل الدائب التريه.. فما آكترث بالغربة.. ولا بالسجون والمنافي ولا بالإقصاء عن الوظيفة.. هزأ بكلّ شيء وهانت عليه الأتعاب وشق طريقه الصعب بنفس مطمئنة يحدوه العزم والإيمان بالنصر.

عاش علي البلهوان رائدا بحق.. كان شجاعا وخطيبا، وكاتبا قديرا، وصحافيا بارعا.. تغنى دائما بحب تونس.. بأرضها.. بعروبتها.. بأصالتها وعراقتها.. بثقافتها، وبذكرياته الماثلة فيها عبر الأيام والسنين" (4).

مثلما آتسعت دائرة اهتمامات رشيد الذوادي من بترت المدينة إلى تونس الوطن، فقد اتسعت الدائرة أكثر وشملت الوطن العربي والأمة الإسلامية، في كتابه "رواد الإصلاح".. الذي تناول فيه

جهاد ومسيرة حياة خمسة من زعماء الإصلاح واليقظة الوطنيّة والفكريّة، زادها إلى سبع شخصيات في طبعة القاهرة (5)، بادئا بخير الدين التونسي... "صاحب الدفعة الأولى لتونس في ركب التاريخ أثناء الربع الثالث من القرن التاسع عشر"(6). وهو صحاب كتاب "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" الصادر بتونس عام 1867م. ترجع أهمية الكتاب إلى آحتوائه على آراء ثورية جريئة، وتعرضه لأحوال المسلمين في القرن التاسع عشر، وتشخيصه لحال الدولة العثمانية أو "الرجل المريض".

كما تناول شخصية محمد بيرم الخامس المصلح الاجتماعي، الذي دعا إلى الرجوع إلى مبادئ القرآن السامية، وتخليص المسلمين من البدع والأوهام، والاتجاه إلى العلوم الحديثة، وتجديد طرق التعليم ومناهجه، والتصدّي لكلّ من يقاوم الإسلام أو ينال من العربية، وتحرير الدين من الجمود وفتح باب الاجتهاد.

وتحدّث عن المجاهد الإسلامي جمال الدين الأفغاني الذي حارب جميع ألوان الإستعمار الغربي، ودعا رجال الدين إلى التفتح وفتح باب الاجتهاد، وندد بأخلاق المتكالبين على المصالح الذاتية، ودعا إلى الثورة وهاجم نظم الإقطاع، ونبّه إلى خطر الاستعمار الثقافي، ودعا إلى قيام جامعة إسلامية تقاوم الاحتكار والطغيان الأجنبي.

ثمّ حدّثنا عن الإمام محمد عبده، تلميذ جمال الدين الأفغاني

ورفيق نضاله، الذي "شق" عصا الطاعة في وجه الإنجليز، وحمل على عملائه من حكام مصر، ونادى بإصلاح التعليم في الأزهر وفي غيره من الجامعات والمعاهد في الشرق، وآرتحل إلى عديد الأقطار للتعريف بمنهجه الإصلاحي، كما نادى بفتح باب الاجتهاد" (7).

وحدّثنا عن رائد الإصلاح عبد الحميد بن باديس الجزائري، وقارن بينه وبين الإمام محمد عبده. كان المصلحان يرميان إلى ذات الأهداف من حيث نشر العدالة والثقافة، وجْعل التربية هي الأساس للإصلاح السياسي، والدعوة إلى الأخذ بأسباب الحضارة والتقدّم. وقد ناهض آبن باديس سياسة التغريب، التي آنتهجها الإستعمار الفرنسي، وحارب من أجل تثبيت دعائم اللغة العربية.

قلم رشيد الذوادي دائب الكتابة عن الصحوة الوطنية وسير الأدباء والزعماء، وجهادهم من أجل بلادهم، حيث يتبلور هذا الجهاد في شكل مقاومة للإستعمار ومخططاته، سواء أكان جهادا سياسيا أم أدبيا وفكريّا.

ساهم مساهمة فعالة في مد جسور الصلات الأدبية والفكرية بين مصر وتونس. وكان بحق مندوبا ثقافيا للأدباء ورجال الإعلام والفكر، في عصر عزّ فيه تداول الكتاب العربي أو تبادله، وأغلقت بعض السفارات العربية سنوات عديدة، كأن العرب إكتشفوا أنّ المصلحة العربيّة في الفرقة والتباعد، وليس في الوحدة والتقارب! أذكر للأستاذ

محمود السعدني في مقاله الساخر بعنوان "اللي ما يغلبها غلاب"- قاصدا الوحدة العربية- نشره في مجلّة "المصور" في مارس 1984.. تحدّث فيه عن عناء السفر بين البلاد العربية ومشقاته، التي تفوق مشقات العصور الماضية قبل اختراع السيارة والقطار والطائرة. وتخيل ابن بطوطة وقد داخ السبع دوخات من أجل التنقل من قطر عربي إلى قطر عربي آخر. أرجع السعدني ذلك إلى أن العرب قوم غير جادين في العمل بمثل هذه الشعارات. وهو مقال طريف وجاد، كتبه بأسلوبه الساخر المتميز.

رشيد الذوادي أديب باحث، واسع النشاط، مغرم بـــمد جسور التعارف بزملائه الأدباء والباحثين. يقف على نواحي نشاطهم وكتاباتـــهم. وهو بـــهذه الهمة العالية، والنشاط الدائب، مرجو للمزيد من الكتابات تؤرخ للحياة الأدبية المعاصرة، محددا أطرها ومعالمها، سابرا أغوارها، متحدّثا عن طموحاتـــها وهمومها، في كلّ من مصر وتونس. وإذا ما اتسعت إهتماماته واتصالاته إلى البلاد العربية الأخرى، إتسعت رؤيته الفكرية والأدبية للأدب العربي الحديث.

الهوامش:

(1) رشيد الذوادي: جماعة تحت السور-ص 32
(2) المصدر السابق- ص 33
(3) رشيد الذوادي: أدباء تونسيون — ص 9
(4) رشيد الذوادي: علي البلهوان — ص 47
(5) صدرت الطبعة الجديدة من "روّاد الإصلاح" عام 2002، التي أضاف إليها شخصيتين أخريين من رواد الإصلاح هما: الجنرال حسين ومحمد البشير الإبراهيمي.
(6) البشير بن سلامة: النظرية التاريخية في الكفاح التحريري التونسي —ج1- ص 7
(7) رشيد الذوادي: رواد الإصلاح — ص 91

الباب الثانـــي

الذوادي .. وفنّ كتابة السيــــر

بادئ ذي بدء، يجدر بنا أن ندع الأديب الباحث رشيد الذوادي يقدّم نفسه ويعرّف بنشاطه:

"–أنا رشيد الذوادي من مواليد بنـــزرت عام 1936. درست بالزيتونة، وفي كليّة الحقوق العليا، ثم اشتغلت في التدريس لمدّة عشر سنوات، ثم اشتغلت في الميدان الثقافي وتفرغت لبضع سنوات في "–الحزب الاشتراكي الدستوري"، ثم تحملت مسؤولية "الكتابة العامة للجنة التنسيق الحزبي ببنزرت". وهـــا أنا أعمل حاليّا بالقاهرة" (1).

"مشواري الأدبي منذ يناير 1955، بدأت أكتب في الصحافة التونسية حيث كتبت عديد الدراسات في جريدة "الصّباح"، ثمّ "العمل" و"النداء" و"الزيتونة"، ثم بدأت أنشر في "الفكر".. كما نشرت في العديد من الصحف والمجلات العربية كـــ "الأديب" اللبنانية وجريدة "الشعب" الجزائرية، وجريدة (المحرر) المغربية ومجلّة "الثقافة العربية" الليبية ... وغيرها... (2).

"أنا أهتمّ بالدراسات الأدبية والنقدية والتاريخية. وكلّ أعمالي

الفكريّة تندرج في هذا الطابع" (3).

بــهذه السطور قدّم الباحث الأديب رشيد الذوادي نفسه، في حوار أجري معه. إنّه واحد من الأدباء الذين بدأوا الكتابة إبان الاستقلال، وتركت مرحلة ما قبل الاستقلال بصماتــها على كتاباتــهم. تحمس للكتابة عن أدباء ومفكرين وزعماء ناهضوا الاحتلال، وفساد الحكم في البلاد، مسلطا الأضواء على مراحل كفاحهم وما عانوه من عنت، لكنهم مضوا في أداء رسالتهم لوجه الله والوطن، كما أنه من مدينة "بنزرت" التي تعرّضت للغزو مثلما تعرضت مدينة "بورسعيد". إنّه نذر كتاباته لإبراز الصورة المشرقة لأدباء وزعماء بلاده. ولقد صادفت مدينة "بنزرت" حبّه وهواه، ففيها نشأ ودرس ولم يتركها إلا للدراسة بالزيتونة وكلية الحقوق العليا، والعمل. لكنّه ظلّ مقيما بــها رغم ظروف عمله التي تتطلّب منه التردّد على العاصمة. وإذا ما استعرضنا مؤلفاته العديدة، لاحظنا مدى عشقه لمدينته وآعتزازه بتاريخها ونضال أبنائها. فأسهم في كتاب "بنــزرت أرض البطولات" الصادر عام 1964م. ثم ألف كتابا عن "حسن النوري" عام 1968م، وهو أحد أبناء بنزرت. وأصدر كتابا عن "أعلام من بنزرت" عام 1971م ثمّ عرّف بــمدينته ومعالمها وتاريخها في كتابه "هذه بنزرت" الصادر عام 1980م، ويتحدّث فيه عن دور بنزرت في الكفاح التحريري،

ومواكبتها تاريخ تونس السياسي الحديث

وتــمجدت هذه المدينة بأبطال وعظماء ومربّين وأدباء وموسيقيين، في طليعة هؤلاء: محمد الحبيب بوقطفة، وحسن النوري، وصلاح الدين بوشوشة، والشيخ إدريس، وسليمان دالي، ومحمد الحبيب الذوادي، ومحمد الخميري، وعلي الخماسي، وحمودة بوقطفة، والمختار الدلالي، وعلي النوري، والحبيب الحدّاد، وغيرهم (4).

على أن آهتمامه ببنزرت وأعلامها، جزء من آهتمامه بوطنه تونس، فتطلع إلى مراحل الكفاح، وكتب عن المناضلين التونسيين، سواء أكان النضال في معترك السياسة ومقاومة المستعمر، أم في رحاب الصحافة والأدب. وخصّ المناضلين في السياسة ومقاومة المستعمر بكتاب عنوانه "أبطال وشهداء"، عرض فيه مواقف البطولة والفداء لــمناهضة الاستعمار، لأبطال أمثال: محمد العربي زروق، وعلي باش حامية، ومحمد باش حامية، والدكتور الحبيب ثامر، وفرحات حشاد، والهادي شاكر، ومحمد البجاوي، والطيب المهيري، وأحمد التليلي(5). كما أصدر كتابا مستقلاً عن "علي البلهوان" عام 1974م، تحدّث في مقدمته عن حركة التغريب والتنصير التي حاولها الإستعمار لدول المغرب العربي.. فتصدّى رجال لهذه المؤامرات، وأفسدوا مخططات المستعمر، وسعوا لتأكيد

الشخصيّة الوطنيّة، أمثال:أسد بن الفرات، وآبن عرفة، والتيفاشي، وآبن الجزار، وسحنون، والقابسي، والشابي، والحدّاد، والكبّادي، وعلي البلهوان، و محمد الخضر حسين.

حين يستقرئ رشيد الذوادي تاريخ بلاده ويواكب أحداثها، فإن مراحل التاريخ تتبلور عنده في صورة المجاهدين والمناضلين، وفي صورة القادة الذين تصدروا المسيرة وتصدوا لصنوف القهر والإذلال، في محاولة لفرض إرادة شعب أراد الحياة الحرّة الكريمة. إنّه لا يعتني ببلورة الاتجاهات الوطنية والقومية، قدر عنايته بمسيرة حياة هؤلاء الأعلام. ففي جلّ كتاباته يحتفي بالشخصية، يدرس نشأتـــها ومبادئها وثقافتها ومراحل كفاحها. الشخصيّة هي المحور الذي تدور حوله الأحداث. وفي دراسته للشخصية، يعرّج على التيّارات والأحداث التي مرّت بـــها البلاد، مسلّطا الأضواء على التاريخ الوطني والتحريري للبلاد. كما أننا نلاحظ من آستقراء مؤلفاته، أنّه قد يتناول الشخصيّة في أكثر من مؤلف، فمثلا حسن النوري، تناوله في كتاب مستقلّ، وفي كتابه "أبطال وشهداء". وتناول علي البلهوان في كتابين، الأوّل صدر عام 1974م والثاني صدر ضمن سلسلة "عظماء بلادي" عام 1977م. كتب عن الدكتور الحبيب ثامر في كتاب "أبطال وشهداء" وفي آخر مستقلّ ضمن سلسلة "عظماء بلادي"... هكذا يبرز رشيد الذوادي أديبا وباحثا،

معتزّا بأعلام بلاده، فخورا بـــما قدموه لتونس، فوهب قلمه في تجرد وحب لتقديـــمهم إلى القرّاء نماذج مشرقة، ورأى أن تونس فيما حققته من استقلال ونـــهضة، مدينة لكلّ مخلص خدمها بصورة أو بأخرى. لهذا قدّم لنا إلى جانب الزعماء والمجاهدين المعروفين، أسماء ربـــما طواها النسيان، وسلّط عليها الأضواء.

ليست دراسة الشخصية، فيما يعرف بأدب التراجم، أو فن كتابة السير، عملا سهلا كما يتبادر للأذهان، فمثل هذه الدراسة تستلزم من الباحث الجهد المضني للإلمام بكلّ ما يتعلّق بالمترجم له من آثار مكتوبة، وجمع ما تناثر في الدوريات، والعكوف على الفحص والدراسة المتأنية. كما تتطلّب الدراسة الوقوف على نشاطه الفكري والسياسي، وأهمّ الأحداث التي شارك فيها، ثم تقديم هذا كلّه إلى القارئ من خلال منظور المؤلف ورؤيته الخاصة.

اضطرّ الذوادي، في معرض تقديم هؤلاء الأعلام المناضلين، إلى التعرّض لتاريخ بلاده، محاولا تحقيق الازدواجية بين تقديـــم المترجم له، والحديث عن تاريخ الكفاح التونسي، محاولا صهر الإتجاهين في بوتقة واحدة، بحيث يستطيع القارئ الإلمام بتاريخ البلاد، والتعرّف على الشخصية موضوع الدراسة.

وقدّم الذوادي لأجيال المستقبل شخصيات إستطاعت أن تـــهب النفس وتعطي لبلادها. ورأى في ذلك مضاء العزيمة وقوّة الإرادة.

وما تاريخ تونس أو غيرها من الأوطان سوى مجموعة من القادة والمفكرين الذين جاهدوا وناضلوا من أجل حياة أفضل للأوطانهم.

وكان أنجح تقديم لزعماء تونس ومفكريها، ما كتبه في سلسلة "عظماء بلادي" التي أصدرها عامي 1976 و 1977 في كتب مستقلّة. تحدّث في كلّ كتاب عن شخصية أحد العظماء. والعظمة في مفهوم الذوادي تاج يكلّل به اسم كلّ من آرتقى ببلده في كافة ميادين العلم والسياسة والتاريخ وما إلى ذلك.. بصرف النظر عن منـــزلة هؤلاء من الناحية المادية، كما توحي الكلمة. فعظماء القوم هم علية القوم بحسب النسب والجاه، لكن عظماء البلاد إعتلوا مترلة العظمة بفضل ما قدموه لبلادهم. وأحسب الذوادي لا يجد في علية القوم شيئا يشي بالعظمة والفخر، قدر ما وجد في كفاح الشرفاء الأبرار الأوفياء لبلادهم. وفي هذه السلسلة، قدم واحدا وعشرين علما من أعلام تونس. كتب عن خير الدين باشا، وأحمد بن الجزار، وأبو الحسن علي الحصري، ومحمد علي الحامي، والإمام المازري، ومحمد الدغباجي، والحبيب ثامر، والإمام "ابن عرفة"، والحسن بن رشيق، ومحمد العربي زروق، وفرحات حشاد، وأبي القاسم الشابي، ومحرز بن خلف، وعلي البلهوان، والطاهر الحدّاد، وعبد الرحمن بن خلدون، وعلي الدوعاجي، وحنّبعل، وإبراهيم الرياحي، وعبد الله بن أبي زيد القيرواني.

كتب السلسلة بأسلوب قصصي قصد به مخاطبة الأطفال والناشئة، وترغيبهم في التعرّف على هؤلاء الأعلام، وبثّ الثقة في تاريخ بلادهم الملئ بأسماء القادرين على العطاء والوفاء.

ونشاط الذوادي الدائب في فنّ كتابة التراجم أو السير، إمتدّ إلى الجماعات الأدبية والفنية، من خلال تسليط الأضواء على الأدباء التونسيين، وأبرز ما كتب في هذا المجال، كتابه "جماعة تحت السور" الصادر عام 1970 عن جماعة أدبية وفنية كانت تلتقي في مقهى تحت السور، تسمى مقهى "خالي علي". وكان المقهى منتديا أدبيا في الثلاثينيات والأربعينيات، كما كان الحال في مقهى "الفيشاوي" و"ريش" بالقاهرة. كان يلتقي في مقهى "خالي علي" القصّاصون والزجالون والشّعراء والرسّامون ومؤلّفو المسرحيّات والموسيقيون، ممّا أثرى الحياة الأدبيّة في تونس. ودعت هذه الجماعة إلى التضامن ومقاومة تيار التغريب، كما عبّرت عن هموم جيلها وآلام شعبها. استتبع ذلك ظهور مضامين أدبية جديدة، مثل "الثورة" و"قضايا الكادحين". ويرى الذوادي أن مجالس "تحت السور" مجالس أدبية وفنية انعقدت بمقاهي "شفار" و"العباسية" و"البوسطة" في الفترة بين عامي 1913 و1928 وكانت مجالس فنية. ثم انعقدت في مقهى "تحت السور" في الفترة بين عامي 1926 و1943. وكانت المجالس الثالثة في الفترة بين عامي 1940 و1952.

كان الروّاد الأوائل لهذه الجماعة يشتركون في حرف "العين"، الذي يوجد في أسمائهم أو في ألقابــهم، مما جعل أحدهم وهو القصاص علي الدوعاجي يكني جماعته بـــ "مجتمع العيون". من أبرز أعضاء الجماعة: عبد الرزاق كرباكة، ومحمد العريـــبـــي، ومحمود بورقيبة، ومصطفى خريف، وعلي الجندوبي، وعبد العزيز العروي، ومحمد المرزوقي، ومحمود بيرم التونسي.

لم يقف إهتمام الذوادي على جماعة "تحت السور" فحسب، وإنّما واصل الكتابة والتقصي عن الجماعات والصالونات الأدبية. وفي كتابه "إشارات أدبية"، حدثنا عن "جماعة الديوان" التي ضمت العقاد وعبد الرحمن شكري وإبراهيم المازني، و"جماعة أبولو" التي أنشأها الشاعر أحمد زكي أبو شادي، و"جماعة تحت الدربوز"، و"جماعة رابطة القلم الجديد"، صاحبة شعار: "نريد أدبا تريده الحياة". ثم حدثنا عن أشهر صالونات الأدب في مصر، صالون مي الشهير، وصالون نازلي فاضل. هذا وقد راسل الذوادي "رابطة الأدب الحديث"، واتصل بـــها والتقى رئيسها الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي في أوائل الثمانينيات وصار عضوا من أعضائها.

مسيرتنا مع رشيد الذوادي رائد فن التراجم والسير، هي مسيرة مع قلم محب للأدب والتاريخ، شغوف بكل صاحب قلم يعطي للحياة والناس خلاصة فكره وروائع فنه. وإذا ما تصفحنا كتابه

الموسوم "أدباء تونسيون"، إزددنا قربا من أعلام الأدب التونسي. وكم هو ممتع وشائق أن يتعرّف المرء على أعلام الأدب في بلد عربي، من خلال بحث أو دراسة أدبية. وقد أكب الذوادي على شتى المصادر والمراجع يستقي منها ما يفيد ويثري بحثه. ولو ألقينا نظرة على ثبت المراجع في آخر الكتاب، لأدركنا مدى الجهد المبذول كي يظهر الكتاب بالصورة التي بين أيدينا.

للمؤلف طبيعة انتقادية من خلال آرائه المبثوثة في معرض حديثه عن المترجم لهم. وهو لا يألو جهدا في عرض نماذج مما يراه في أشعارهم. والشعر فيما يبدو هو المجال الأرحب لإبداع هؤلاء الأدباء.

وعلى عكس ما آعتدنا من بعض مؤلفي السير والتراجم، الذين ينبــرون في تقديم أجمل ما كتب المترجم له. نجد النماذج التي عرضها الذوادي لا تفصح بالضرورة على الجوانب المضيئة، إلا إذا قلنا إنّ هذه النماذج تعكس كتاباتهم، وفي هذا يظهر التناقض بين ماهو وارد من نصوص، وبين حديث المؤلف عنهم وإشادته بــهم كرواد للأدب التونسي وأعلامه البارزين.

قدّم في كتابه ثمانية من أدباء تونس وشعرائها، مرتبين بحسب تواريخ وفاتهم، وهم الأدباء الذين تركوا الحياة الأدبية في تونس أوائل هذا القرن وحتى منتصفه. كتب عن مصطفى آغة، وسعيد أبي

بكر، ومحمد بوشربية، ومحمد الشاذلي خزنة دار، والبشير الفورتي، ومحمد العربي الكبادي، وزين العابدين السنوسي، وحسن حسني عبد الوهاب.

يستبين من خلال فصول هذا الكتاب الممتع أن مؤلفه ركز الأضواء على الشعراء أكثر من غيرهم، أم لعلها طبيعة الأديب العربي الميالة إلى قرض الشعر. كما اهتم ببيان الشعر السياسي المناهض للإحتلال، وهذا راجع إلى طبيعة الفترة التي مرّت بـــها تونس تحت وطأة الاحتلال الفرنسي، كما أن اهتماماته الصحفية تستميله، فيشرح بإسهاب جهود الأدباء في إصدار الصحف والمجلات.

نخلص من هذا إلى أنّ رشيد الذوادي في كلّ ما كتب، تتركز إهتماماته في الحركة الوطنية والسياسية لبلاده، وحماسه الخالص من كلّ شائبة لقضايا التحرّر والنّضال من أجل حريّة شعبه وكرامته. هذه سمة بارزة ملازمة لشخصية الذوادي. وهو حين يستقرئ التاريخ فلكي يقف على حركات النضال والكفاح، ويسطر سطورا مضيئة، فخورا بآنتمائه إلى تراب الوطن. ولعلّ حماسه الوطني يرجع إلى أنّه من تلك المدينة الباسلة "بنزرت"، التي دارت على ترابـــها معارك التحرير الأخيرة ضدّ الغزاة، وذلك بين عامي 1961 و1963. وللذوادي البنزرتي شقيق بذل الروح رخيصة في ساحة الجهاد في

معركة الجلاء عن بنزرت عام 1961 عن ثلاثة وعشرين عاما (6).
ولعل آستشهاد شقيقة بقذائف (النيالم) وهو القصاص محمد الحبيب الذوادي كان السبب الرئيسي لحماسه للقضايا الوطنية، فهو لم يبك شقيقه، قدر إعتزازه بآستشهاده فداء لوطنه. الملاحظ أن رشيد الذوادي بدأ إنطلاقته في رحاب الأدب والفكر بعيد إستشهاد شقيقه، إذ صدر أول مؤلفاته "يوغوسلافيا كما شاهدتها" عام 1962 ثم سال قلمه منقبا في تاريخ بلاده ومدينته، ينشد أنشودة حب ووفاء. كلمة الإنصاف التي أعجبت بــها عن هذا الأديب المناضل بقلمه، قرأتــها لرضوان إبراهيم :"إن رشيد الذوادي اسم قلما تسمع به كثيرا في زحمة الأدب التونسي لأنه يعمل بلا ضجيج، لكنه بــهذا المستوى من كتابة التراجم قد فرض نفسه ككاتب سيرة من الطراز الأول وهو يؤدي للقارئ واجب التعريف بأبطاله الأمجاد في معركة الحياة والتقدم"(7).

الهوامش:

(1) جمعة محمد جمعة : مجلة (القافلة الجديدة) مارس 1985-ص22
(2) المصدر نفسه
(3) المصدر نفسه
(4)رشيد الذوادي :هذه بنزرت-منشورات جمعية صيانة مدينة بنزرت-1980-ص 60/58
(5)رشيد الذوادي : أبطال وشهداء-مطبعة الحياة ببنزرت 1968-ص2
(6)رضوان إبراهيم : التعريف بالأدب التونسي-الدار العربية للكتاب-تونس 1977-ص 218
(7) المصدر السابق-ص 24

الباب الثالث

من مؤلفاته

(1) جماعة تحت السور

انبرى الذوادي، صاحب العديد من المؤلفات الأدبية والتاريخية، في الكتابة عن جماعة أدبية وفنية كانت تلتقي في "مقهى تحت السور" يسمى "مقهى خالي علي"، يقع في قلب العاصمة التونسية. فأصدر عن هذه الجماعة كتابه القيم "جماعة تحت السور"، طبعة تونس عام 1975م، وأعاد طبعه عام 2003م في القاهرة بعد إضافة فصول أخرى.

كان المقهى منتدى أدبيا في الثلاثينيات والأربعينيات حيث يلتقي فيه القصاصون والزجالون والشعراء والرسامون ومؤلفو المسرحيات والموسيقيون، مما أثرى الحياة الأدبية في تونس. يقول الأديب محمد العروسي المطوي عن هذه الجماعة: "لم يكن لهم من المال ما يسمح لهم بتكوين ناد يجمعهم إلا تلك الدريهمات التي يدفعونها ثمنا لفنجان قهوة أو كأس شاي. ومن يدري؟ فلعل البعض منهم يدفع بالآجال إلى أن يرحم ربك".

عانت الجماعة جميع الأزمات التي مرت ببلادهم. ضاقت نفوسهم بـــما يتعرض له الشعب من ظلم وكبت، مما عرض بعضهم للسجن والنفي والتشريد والبطالة، وأدى إلى تعطيل الصحيفة التي كانوا ينشرون فيها كتاباتـــهم.

دعت هذه الجماعة إلى التضامن ومقاومة تيار التغريب، كما عبرت عن هموم جيلهم، وآلام شعبهم. وآستتبع ذلك ظهور مضامين أدبية جديدة، مثل "الثورة" و"قضايا الكادحين". على أيدي هذه الجماعة كان ميلاد القصة التونسية بـــمفهومها التقني، متمثلا في قصص علي الدوعاجي وظهور الأدب التونسي الحديث الـــمعبرة عن آمال وآلام الشعب التونسي، كما يرجع لهذه الجماعة الفضل في بدء تطوير الأغنية وارتقاء المسرح، وبعث الصحافة الفكاهية.

يقول الذوادي في معرض حديثه عن هذا المقهى: "مقهى تحت السور يعد من المنتديات الأدبية الراقية التي قامت بدور نشيط في تركيز وتثبيت أصول الأدب الحديث، وقد آكتسب شهرة أكثر من مقهى "الدربوز" ومقهى "باب الفلة" وأندية الثقافة الأخرى المنتشرة في أوائل هذا القرن".

يرى الذوادي أن مجلس "تحت السور" هي مجالس أدبية وفنية إنعقدت بـــمقاهي باب السويقة الشعبي. بدأت هذه المجالس

بـــمقاهي "شفار" و"العباسية" و"البوسطة" في الفترة بين أعوام 1614 و1928، وكانت مجالس فنية. ثم انعقدت في مقهى "تحت السور" في الفترة بين عامي 29 و1943. وكانت المجالس الثالثة لهذه الجماعة في الفترة (1952/40).

إشترك الرواد الأوائل لهذه الجماعة في حرف "العين"، الّذي يوجد في أسمائهم أو ألقابهم، مما جعل أحدهم وهو القصاص علي الدوعاجي يكني جماعته بـــ"مجتمع العيون". من أبرز أعضاء هذه الجماعة عبد الرزاق كرباكة، الشاعر والصحفي. ساهم طيلة ربع قرن في شتى فنون الأدب. تطرقت أشعاره وأزجاله إلى الرثاء والغزل والوصف والوطنية والإجتماعات. ومن أشعاره قصيدة "معروف العزيمة"، نظمها عام 1929 إزاء ما نقلته الأنباء عن هيام "الرصافي" وخروجه شاردا في الصحاري لما عاناه في بغداد. خاطبه الشاعر التونسي في محنته قائلا:

فيما فرارك والعراق كما ترى   زين البلاد وأهله زين الورى
معروف، راجعها العزيمة مرة   وأنا الضمين بأن تفوز وتظهرا

ومنها:

شيخ الرصافة جل ماتصبو له   أتريد أن تلقاه سهلا أيســـرا
أين البطولة عند ذاك وأين ما يلقى المجاهد وهو يقتحم الذرى؟

من الجماعة أيضا نذكر محمد العريـــبـــي (1946/1915)، وهو

جزائري، ومن البوهيميين الأذكياء. درس بتونس في الزيتونة وآختلط بـــمثقفيها، وكتب في الصحافة، وقرض الشعر، وصاغ الأغاني، وألف القصص.

ضمن أعضاء هذه الجماعة أسماء أخرى، منها: محمود بورقيبة، ومصطفى خريف، وعلي الجندوبي، وعبد العزيز العروي، ومحمد المرزوقي، ومحمود بيرم التونسي.

قدم بيرم إلى تونس مرتين، الأولى عام 1919، وقت ما كانت تعاني نيـــر الاستعمار، والثانية عام 1932، حيث تولى رئاسة تحرير جريدة "الزمان" ثم أعاد إصدار جريدة "الشباب" في 1936/10/29 والتي كان يصدرها في مصر قبل نفيه، وفي "الشباب" لم يسلم أحد من قلم بيرم التونسي ومن تـــهكمه.

إن الفترة التي قضاها بيرم منفيا في تونس، لفي حاجة إلى قلم باحث، يسلط عليها الأضواء، حتى تكتمل سيرة حياته من شتى جوانبها.

نشر بيرم في عدد من الصحف التونسية، منها: "السرور" و"السردوك" و"الزمان". يشير الذوادي إلى أزجال بيرم ومقالاته وقصصه وفكاهته، التي عبرت عن معاناة الشعب التونسي في تلك الفترة. ويتحدث بإفاضة عن شخصية الناقد الشعبي بيرم التونسي، تلك الشخصية المحببة إلى نفوس "جماعة تحت السور". يصفه الشاعر

مصطفى خريف بقوله :"دنيا من الأدب الحي تمشي على رجلين".

ترك بيرم التونسي تراثا أدبيا في تونس، وأحباء له أيضا، بآختلاطه هذه الجماعة. ومن المناسب أن تجمع كتاباته في تونس في مؤلف مستقل. حيث تمثل هذه الكتابات جزءا مفقودا من تراثه. هذه الدعوة في حاجة إلى من يتبناها من الباحثين المهتمين بالدراسات الأدبية، ويمتعنا بمؤلف جديد عن "بيرم التونسي في تونس". وما أحرى الذوادي أن يمتعنا بــــهذا المؤلف، مثلما أمتعنا وهو يحدثنا عن "جماعة تحت السور" الأدبية، التي كانت إحدى البدايات المشرقة للأدب التونسي الحديث.

(2) إشارات أدبية

يضم كتاب رشيد الذوادي "إشارات أدبية" مجموعة من المقالات القيّمة حول دور الكاتب ومسؤوليته وعلاقة الأدب بالمجتمع وإطلالة على أدب الستينيات، وكيف أصبحت قضية فلسطين هي شغل الكتّاب، فاتجهوا إلى النضال بالكلمة، وتطرق في مقالاته إلى موضوعات أخرى مثل أدب الأطفال والصالونات الأدبية.

أسلوب الكاتب شائق وسلس. الموضوعات المطروحة تـــهم جمهرة الأدباء والمثقفين بما تثيره من قضايا حيوية تشغل الأذهان.

ولأهمية هذه الموضوعات أحسست بـــها موضوعات مختصرة كان يمكن أن تكون دراسات متعمقة مستفيضة. يرجع الاقتضاب إلى أنـــها مقالات نشرها في الصحف تـــحت عنوان "إشارات"، بما يستلزمه النشر الدوري بالصحف من تقيد بـــمساحة محدودة، وآضطرار الكاتب في كل مقال أن يثير قضية جديدة، أو يتطرق إلى موضوع آخر، فكانت مقالاته حقا كما سمّاها مجرد "إشارات" للتنبيه أو للتذكير، أو هي كلمات صارخة سريعة كالطلقات المدوية. هل أقول كنا في حاجة إلى دوحة ظليلة ننعم بوارف

ظلالها؟

من أهداف الكتاب تسليط الأضواء على العلاقة التي تربط الأدب بالمجتمع.

هذه الإشارات الأدبية "تجدد علاقة الأديب بالواقع الاجتماعي والحضاري، وتؤكد مسؤوليته في قيادة الجماهير ودفعها إلى التعلق بالمثل وتبرز دوره الحضاري ورسالته الخالدة". (1)

أهم ما يشغل فكر رشيد الذوادي مسؤولية الكاتب إزاء مجتمعه، ومدى إرتباطه بقضاياه. الكتابة-من وجهة نظره-لا يمكن تحييدها سياسيا وهو في معرض حماسه لا يهمه الشكل الّذي تصاغ به الكتابة قدر اهتمامه بالمضمون والفكرة والمحتوى. ثم يقر في ختام مقاله "مسؤولية الكاتب" بضرورة معمارية القصيد ورموز القصة وهيكل الموضوع، بشرط أن يصاحبها المضمون والصدق.

في رأيي إن الصورة لا يمكن تقسيمها إلى صورتين : شكلية وجوهريّة. الشكل والجوهرة وجهان لعملة واحدة. يتجدد العمل الأدبي بالشكل والمضمون معا، إذا نظرنا إلى هذا العمل كلوحة فنية متكاملة تشع بالرؤى وتغوص إلى الأعماق، غير غافلة للنواحي الجمالية أو التكوينات والتشكيلات التي تكمل اللوحة، بل إن العنوان يشكل بعدا آخر من أبعاد الصورة الكلية للعمل الأدبي. حماس الذوادي لبيان الدور الإيجابي للكاتب نحو خدمة مجتمعه

والنهوض به، ساقه إلى إغفال النواحي الجمالية للعملية الإبداعية وتلازم الشكل والمضمون.

وقد دعانا الكاتب إلى أن ننتقي من تراثنا ما يفيد واقعنا، وندع ما دون ذلك تحت دعوى أن "جيلنا العربي اليوم قد ملّ مديح المتنبي لسيف الدولة، وملّ هجاء المتنبي لكافور الإخشيدي، وسئم وصف العيون، والنهود، والقامة، والخصر، وغزل لبيد وعمر بن أبي ربيعة، ومديح الحطيئة وهجوه" (2).

وفي رأيي أن الحفاظ على التراث العربي، جزء من ملامح شخصيتنا العربية في أطوارها المختلفة. وإذا كنا نعيش في طور تختلف فيه شخصيتنا العربية عما كانت عليه في أزمنة غابرة، فهذا لا يثني همم الدارسين للتراث. ما نبغيه من تسليط الأضواء على تراثنا، بحلوه ومره، بإيجابياته وسلبياته، هو جلاء الصورة، وتحديد الإنتماء والهوية، ناهيك عن موضوعية البحث وجديته.

ليس منطقيا إسقاط تراث الأسبقين من دائرة إهتمامنا، أو إهالة أتربة النسيان عليه تحت دعوى تقدمية أو ثورية، او معالجة أوضاعنا المتردية، فإذا عشنا بلا ماض، ضاعت أو قل تاهت شخصية جيلنا.
ويقول في موضع آخر :"إن جميع ما أنتجه الأدباء العرب منذ القدم وحتى الآن وتساؤلاتهم يدخل بصورة أو بأخرى في تعميق الأصالة وصون الرجولة وهو يعكس أنماطا من شخصيتنا العربية. وهو

بالتالي يمثل أسلوبا على إرتقاء الإنسان العربي" (3).

وهو في هذا يؤكد على ما قلت من أهمية الحفاظ على تراثنا القديم رغم ما يعتري بعضه-وهو قليل-من شوائب لا تقلل من الخط الحضاري الّذي آختطه الإنسان العربي عبر العصور.

في موضع آخر يطرح رشيد الذوادي سؤالا:"لمن يكتب الأديب؟".. فللكتابة أثرها إذا ساهمت في تشييد واقع الإنسان. الكتابة وعي ومسؤولية، بمعنى أنـــها الحافز للتبصير بالواجب والتطلع للأفضل. يقول رشيد الذوادي:"والكاتب الحق ينبغي أن يكتب للكافة لا للخاصة" (4). ثم يقول :"والكافة التي أقصدها هي جميع الطبقات والفئات، فالأديب مطالب بأن يكتب عن الطالب والعامل والمثقف والفلاح والعامل المنجمي" (5).

نعم، لا بد أن يكتب الأديب لكل الناس، ولكن ليس شرطا أو قيدا أن يكتب عن كل الناس. المهم أن يكون صادقا فيما يكتب، ويـــمس وجدان الناس بمختلف منابتهم ومشاربـــهم انطلاقا من أن الأدب إنساني بالدرجة الأولى. ليس هناك تصنيفات في الأدب تجعلنا نقول إن هذا أدب عن الطالب، وهذا عن الفلاح، وهذا عن العامل، وهلم جرا...

وآمتدادا للعلاقة الثنائية بين الأدب والمجتمع تتبلور قضية التجديد في الأدب في قوله: "كل قضية وطنية واجتماعية لأن

الأعمال الأدبية الجادة لا تهمل مثل هذه المضامين" (6)..بهذا يتحدد مفهوم الكاتب عن الأدب في مدى جدواه للمجتمع، ومدى التزامه بالتعبير الصادق عن قضاياه. ولا خلاف معه في هذا، لكنني أمقت التزام الأديب بآتجاه ما، فقضايا المجتمع ذاتها متباينة ومتداخلة. الأديب مرتبط بالدرجة الأولى بالتعبير الصادق عن ذاته، فلا يخون ضميره، أو يزيف شعوره. بهذا يبدع أدبا يرتقي بنا ويسمو. يحاكي في خطه العريض ما يرتجيه من تعبير عن قضايا المجتمع وهمومه.

تطرّق الذوادي إلى الستينيات بلونها النضالي وتسليط الأضواء على قضية فلسطين، وحضر تداول الرأي والإضطهاد. الكاتب في كلّ هذا يعي مسؤوليته النضالية، مما حدا به أن يكون ملتزما بميثاق "يقوم على التعهد بالدفاع عن حرية التعبير والمبادرة إلى إدانة كلّ محاولة تستهدف قمع الفكر وإرهاب الأدباء" (7). وهذا قول مستنير يخفف حدة رأيه في الأدب الملتزم.

عن النضال بالكلمة، حدّد مضامينه: عن الثورة على الكبت والبؤس والمرض والجهل، بغية تجسيد ما تصبو إليه الشعوب العربية في الحرية والعدل الاجتماعي. ويعبر عن ذلك بما سماه "ظاهرة المواجهة في الأدب العربي"، ويكشف الدور السياسي أو الوطني الذي أداه الأدباء بعد الحرب العالمية الأولى.

إنّه يتطرّق إلى الأدب وقضاياه من زاوية التاريخ، وخاصّة نضال الشعب العربي، ويهتم بسير الزعماء والمجاهدين، واقتفاء أثرهم. ولو ألقينا نظرة على مؤلفاته لوجدنا القاسم الأعظم منها مؤلفات تاريخية عن الجهاد مثل "عظماء بلادي". و "أبطال وشهداء" و"بترزت أرض البطولات"، مما حدا به أن يصدر مؤلفه "أدباء تونسيون" يستعرض فيه سيرة نخبة من أعلام الأدب التونسي، مسلطا الأضواء على دورهم النضالي سواء أكان الدور سياسيا ام صحفيا.

وتحدّث الذوادي عن أدب الأطفال، وهو صاحب تجربة في هذا المجال، حيث أصدر أكثر من عشرين مؤلفا خصيصا للأطفال، تحت عنوان "عظماء بلادي". تحدّث في مقاله عن ضرورة الاهتمام بالطفل العربي.

كما تتضمّن إشاراته الأدبية القيّمة، فصولا ممتعة عن التجديد في الأدب العربي، وتطوّر الأدب القصصي عند العرب، وفصولا عن أحمد شوقي ومحمد المرزوقي، وفصولا عن الجماعات والصالونات الأدبية في كلّ من مصر وتونس. ومن الجماعات التي تحدث عنها: "جماعة الديوان"، التي ضمت العقاد وعبد الرحمن شكري وإبراهيم المازني، و"جماعة رابطة القلم الجديد" صاحبة شعار: "نريد أدبا تريده الحياة"، ثم حدّثنا عن أشهر صالونات الأدب في مصر، مثل: صالون "مي" الشهير وصالون نازلي فاضل.

تتلخص النظرة العامة لكتاب "إشارات أدبية" في آهتمام مؤلفه بتناول الأدب وقضاياه من زاوية التاريخ. الأدب عنده مرهون بالمرحلة النضالية. ولا غرو في هذا، فهو مهتم بالدراسات التاريخية وسير الزعماء والمجاهديــــن والمصلحــــين (7).

الهوامش :

* نشرت بجريدة "الصباح" التونسية، بتاريخ 2 سبتمبر 1983

(1) رشيد الذوادي : إشارات أدبية — ص 7

(2) المصدر السابق — ص 20

(3) المصدر السابق- ص 31، 32

(4) المصدر السابق — ص 55

(5) المصدر نفسه

(6) المصدر السابق — ص 78

(7) المصدر السابق — ص 21

(3) وجوه من بنـــزرت

الأديب الحق ابن بيئته. تخلق مأثورات البيئة شخصية الأديب. ولا مشاحة أنها نابعة من الأسرة ومن البيت ومن الشارع والحي، بل من المدينة بمآثرها وعاداتها وتقاليدها، وصفوة رجالها، يعزو لهذه المأثورات الأثر القوي في تشكيل الأديب من قبل أن يكتب حرفا واحدا. و"الموطن" مكان يحن إليه الأديب بحكم الانتماء. الأديب الحق هو ذلك الفنان الّذي تفاعلت ثقافته مع عنصري "المكان و"الزمان" في موطنه، مكان ولادته ونشأته. من هذا التفاعل، تبزغ الموهبة التي تستشرف العلياء وهي تعلي قيمة الإنسان على أرض المعمورة. وسر عظمة الأدباء المشهورين تكمن في تبنيهم آلام وآمال "موطنهم" بالمعنى المحدود الإقليمي و "وطنهم" بالمعنى الواسع لمفهوم الانتماء، و"إنسانيتهم" بالمعنى الشامل.

والأديب التونسي رشيد الذوادي باحث دؤوب، كتب العديد من المؤلفات في مجال البحوث والدراسات عن الأدباء العرب، وإن توسع في دراساته عن الأدباء التونسيين. ولد في "بنزرت"، المدينة التونسية المطلة على البحر المتوسط، الشهيرة بكفاحها ونضالها ضد الاستعمار.

ووفاء لمدينته العظيمة، الّذي يفخر بـــها ويعتز، ألف عنها كتابا بعنوان "هذه بترت"، مستعرضا تاريخها وجغرافيتها ومعالمها. كتبَ أيضا "عظماء من بترت"، متحدثا عن أهم رجالها البارزين الأدب والفن والفقه الديني والنضال. لم يكتف بـــهذا، بل واصل عطاءه، معبرا عن حبه لبترت". يبرز هنا باحثا منقبا، يذكر بعضا من الوجوه البترتية التي أسهمت في شتى المجالات، مثل :الفقه الديني، والدراسات القرآنية، والأدب والشعر والرواية والقصة، والسياسة والتكنولوجيا. كما لا ينسى أنْ يخصص صفحات من كتابه للحديث عن أستاذه عبد الحميد سبلي، ابن بترت البار الّذي تتلمذ على يديه:

طريقته في الكتابة عن الشخصية طريقة متميزة تحبب إليك الشخصية وتقربها إلى عالمك الّذي تعيش، وتوجز أهم أنشطتها وأبرز أعمالها، بأسلوب .سهل بدفعك على متابعة القراءات عن حب ومتعة، فإذا بك تنتقل من شخصية إلى أخرى، كأنك تقابل أصحابها وتتعرف عليهم.

هو لا يقسم الكتاب إلى فصول يندرج تحت فصل منها علماء الدين والفقهاء، وفصل آخر يندرج تحته الأدباء، وثالث يضم السياسيين وهلم جرا..كما أنه لم يعمد إلى ترتيب الوجوه البترتية حسب تواريخ ميلادهم. أ أنه لم يلجأ إلى أي تصنيف أو تبويب، مؤثرا

تقديم وجوه مدينته بطريقة عفوية تبعد القارئ عن الملل، كأنه في نزهة يجول في دروب وشوارع المدينة، يصادف هذه الوجوه، فيتعرف إليها، سعيدا بالصحبة، حفيا بالرجال، علمائهم وأدبائهم وفنانيهم.

أغلب الوجوه البنـــزرتية تلقت تعليمها في جامع "الزيتونة"، لذا يميل المؤلف إلى اختيار الوجوه التي أكبت على الدراسات الإسلامية، وفقهت الدين الإسلامي. أضف إلى ذلك أن معظم الوجوه اشتغلت بالتدريس في المدارس والمعاهد البنـــزرتية.

تطرق الذوادي إلى الحديث عن ثلاث وثلاثين شخصية من بنـــزرت.. منها الفقهاء وخطباء المساجد وعلمـــاء الدين، أمثـــال: أحمد الطيب الصوابـــني، ومختار الدلالي، وعبد القادر بوحملة، والشيخ البشير شقرون، وعمر العداسي، والشيخ الصادق الدبوكي. ومنها الأدباء والشعراء والقصاصون، أمثال: حسن قارة بيبان، وابنته القاصة بنت البحر، ومحمد الطيب العنابي، وعبد العزيز الخماسي، وهو خطاط، ومحمد الحبيب هيّاج، ومحجوب بن ميلاد، والهادي حمو، وصالح جبالية، ومحمد الحبيب الشريف، والبشير المشرقي، وعمر العويني، وصالح عكاشة، والصادق الرزقي. ومنها وجوه اشتغلت بالسياسة، أمثال: صلاح الدين بوشوشة، والحبيب الحداد، ومصطفى المستيري، ومصطفى القاسمي، الّذي ولد في

الجزائر وهاجر مع أسرته إلى تونس. ومنها شخصيات برعت في الحقل العلمي والتكنولوجي، أمثال: محمود غضوان، والمهندس محمد علي العنابي. كما ضم كتابه وجوها اشتغلت بالتمثيل والمسرح، أمثال: أحمد قلوز، وأبي بكر الحاج قاسم.

وبالنظر في إسهام كل وجه من تلك "الوجوه"، في المجال الّذي برع وبرز فيه، نجد بعض الوجوه لها مؤلفات عديدة والبعض الآخر لم يسهم في مجال التأليف إلا بكتاب أو إثنين. ثمة وجوه أخرى لم تهتم بطبع مؤلفاتها في كتب، مكتفية بما نشرته في الدوريات، أو بما بـــها من نشاط سياسي أو اجتماعي أو ثقافي. انصب جهد المؤلف على إقامة مأدبة ثقافية، دعا إليها تلك الوجوه، مادامت تحمل بطاقة إنتساب لبنزرت، سواء بالمولد، أو النشأة، أو الإقامة، أو بـــها جميعا. المهم في توجيه الدعوة مدى إسهام الوجه المدعو في نشاط ما من الأنشطة المختلفة بمدينة بنـــزرت.

لكن رشيد الذوادي يعتبر هو الآخر وجها من الوجوه البنـــزرتيّة يحقّ الحديث عنه، ونضيفه نحن إلى كتابه، المأدبة الثقافيّة الحافلة. فهو أديب باحث اشتهر بمقالاته ودراساته المنشورة في الدوريات التونسيّة والعربيّة.

ألقى العديد من المحاضرات في تونس والمغرب والجزائر، ومصر أيضا من خلال منبر "رابطة الأدب الحديث".

اهتمّ الذوادي بالأدباء العرب وكتب عنهم بإفاضة، وله اهتمام بتاريخ تونس والمغرب والجزائر، وله دراسات عن رواد الأدب والفكر العربي أمثال الإمام محمد عبده، وجمال الدين الأفغاني، والخضر حسين، وبيرم التونسي والدكتور زكي مبارك، وصالح جودت والدكتور مختار الوكيل، والدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، والدكتور عبد العزيز شرف وثروت أباظة، ونجيب محفوظ، وغيرهم من القدامى مستشارا ثقافيا لبلاده في مصر في عقد الثمانينيات، وطبع له في مصر كتاب "أحاديث الوطن العربي"، و"رواد الإصلاح"، و"جماعة تحت السور"، وغيرها. كما أنّه مولع برصد الحركة الثقافية من خلال الصالونات الأدبية والمقاهي الأدبية والمنتديات الثقافية.

يحدّثنا الذوادي في كتابه عن أهميّة التعريف بالشخصيات البارزة، فيقول:"إن التعريف بالرجالات ضرب من ضروب الحفاظ على الشخصيّة الوطنية، وسمة من سمات نقل الثقافات المختلفة، ونمط من أنماط التعبير عن الذات. وسوف يظلّ التعريف بالرجالات دوما صورة تعكس الطابع الواضح الذي ميّز شخصيتنا على أساس القيم والتطوّر والمقومات المتجدّدة. ونحن حينما نتلفت بشدّة على شخصية من شخصياتنا الوطنية أو الفكرية أو العلمية، ونكتشف عنها القناع فما ذلك إلاّ من باب القوالب التي نحقق بها الاحتفاظ

بروح الأمّة وبعطاءاتها الكثيرة".

يقول في موضع آخر من الكتاب:"فمن الذكريات الحلوة الحديث عن أعلام الفكر والتربية والنضال.. هم رواد بحقّ وما أحوجني بين الحين والآخر إلى أن أسجّل بعضها، أو ألقي عليها بعض الإضاءات. فقد تكون هناك شخصيات هادية للآخرين نبراسا للناشئة. والحديث عن المدن والأحياء دائما فيه ما يستظرف. فكم من ذكرى حدثت بـــهذه المدينة أو بذلك الحيّ ؟ وكم من مدينة خلدت مواقف رجالاتها ؟ وكم من قصّة حبّ نمت بين أبناء الأحياء ؟".

نخلص من هذا إلى أنّ اهتمام الذوادي بالترجمة للشخصيّة والتعريف بـــها، نوع من الاحتفاظ بروح الأمّة، على أساس القيم والمقومات المتجددة. كما أنّ التعريف بأعلام الفكر والتربية والنضال، نوع من تقديم النموذج والقدوة للناشئة وللآخرين.

في المقدمة،يتحدث المؤلف عن كتابه قائلا إنّه "يؤرخ لمجموعة من الشخصيات... فبين دفتيه أعلام احترمهم... أنجبتهم جهة وفيّة وأصيلة.. بعض هؤلاء رحلوا عن عالمنا منذ قرون، وبعضهم الآخر فقدناهم منذ سنوات قليلة أو مازالوا يحيون بيننا ولا أخفي على القارئ الكريم أنّ إعجابي بتاريخ بترت هو الذي أملى عليّ اختياري في البحث عن هذه (الوجوه)، فسعبت إليها بين أوراق

الذكريات والأبحاث. وإن تقديري لهم قد ازداد بعد الإقتراب من قيمهم الخالدة وأعمالهم الجليلة.

بـــهذه الكلمات الرقيقة، قدم المؤلف كتابه، حبا وإعجابا بأناس تأثر بـــهم أو عايشهم واختلط بهم أو شكلوا بصورة أو بأخرى جانبا من ثقافته وفكره، وما أعظم الكتابة عن حبّ وحماس، ويشوقني كثيرا، كما يشوّق القراء، أن يقرؤا لآخرين، يقدمون في مؤلفاهم وجوها أخرى بارزة من مدنـــهم وأحيائهم. وكم هو ممتع ومؤنس قضاء الوقت مع كتب تؤلف عن وجوه متميّزة من القاهرة والاسكندرية وبورسعيد وإمبابة مثلا، ووجوه أخرى من مكّة والمدينة المنورة والرياض وجدة والطائف والدمام وأبها وغيرها، ووجوه ثالثة من دمشق وحلب وحمص وحماه واللاذقية وغيرها، وهلم جرا ولمدن وأحياء بالكويت ولبنان والأردن والعراق والمغرب والجزائر والإمارات، وكافة البلاد العربيّة.

(4) أدباء تونسيون

كم هو ممتع وشائق، أن يتعرف المرء على أعلام الأدب في بلد عربي، من خلال بحث أو دراسة أدبية. مثل هذه الموضوعات تغريني بقراءتها وتستأثر باهتماماتي، ذلك أنها تفتح نافذة لمعرفة سير هؤلاء الأعلام، وتسليط الأضواء على حياتـــهم وكتاباتـــهم.

وكتاب "أدباء تونسيون" أحد هذه الكتب التي تعرفت منها على أدباء تونسيين، ومؤلفه رشيد الذوادي من مدينة بنزرت التي أصابت هوى في نفس آبنها البار، فكتب عنها بعض مؤلفاته، مثلما أصابت تونس هواه فكتب عن أدبائها هذا المؤلف الجيد.

أكب الذوادي على شتى المصادر والمراجع يستقي منها ما يفيد ويثري بحثه. ولو ألقينا نظرة على ثبت المراجع لأدركنا مدى الجهد المبذول كي يظهر الكتاب بالصورة التي بين أيدينا.

يقول الأستاذ أبو القاسم محمد كرو في تقديمه للكتاب:"الأخ الصديق رشيد الذوادي ممن أسهم بقلمه ونضاله في حياتنا القومية، وحركتنا الأدبية والفكرية منذ سنوات بعيدة، ولا يزال يثابر بجد وصدق نادرين على متابعة إنتاجه وإتحاف القرّاء بكلّ جديد".

قدّم ثمانية من أدباء تونس وشعرائها، مرتبين بحسب تواريخ وفاتـــهم، وهم:

- مصطفى آغه (1877-1946)
- سعيد أبو بكر (1899-1948)
- محمد بو شربية (1903-1952)
- محمد الشاذلي خزنة دار (1881-1954)
- البشير الفورتي (1882-1954)
- محمد العربي الكبادي (1881-1961)
- زين العابدين السنوسي (1901-1965)
- حسن حسني عبد الوهاب (1884-1968)

وفيما يلي نبذة عن حياة وإبداع هؤلاء الأدباء...

مصطفى آغة :

نشأ هذا الشاعر نشأة راقية حيث كان جده مصطفى وزيرا للحرب. تلقى علومته في بيته، وقضى شبابه وكهولته منعزلا عن المجتمع. وكان اختلاطه منحصرا في بعض الأعيان المترددين على قصر "الكرم". إشترك في تأسيس "النادي التونسي"،وتفرع منه "الحزب الإصلاحي".

كان شعره بعيدا عن الحركة الوطنية، منصبا على الوصف الاجتماعي والنواحي الفلسفية، من آثاره الأدبية : ديوان شعر

مطبوع، ومجموعة أحاديث مذاعة "أنا والمعري"، ومجموعة مقالات مخطوطة. حدد المؤلف عوامل تكوين شخصيته الشعرية في : الطموح والخيال الفسيح والذاكرة الفريدة وعنايته بفن البديع. ثم استعرض إهتمامه بفكر وأدب أبي العلاء المعري.

سعيد أبو بكر:

لم يكمل دراسته الثانوية، لكنه إستكمل ثقافته الأدبية. ونشر كتاباته في المجلات التونسية، وأشرف على تحرير مجلة "العالم" لمدة ثلاث سنوات. ومن مؤلفاته المطبوعة: الجزء الأول من ديوان "السعيديات"، وديوان "الزهرات"، وكتاب "دليل الأندلس". وله مؤلفان غير مطبوعين. وفي شعره ناهض الاستعمار وآستحث الهمم للنهوض بالوطن. وكما يقول عنه مؤلف الكتاب: "إنه ابن جيله وشاعر تونس المجدد، فقد وعى عن عمق مشاكل أمته وعيا كاملا وتفاعل معها في ثورتها".

محمد بو شربية:

تلقى تعليمه بجامع الزيتونة، وتدرج في سلك الوظيفة حتى أصبح مدرسا بالزيتونة. اختطفته يد المنون إثر حادث سيارة عام 1952. نهل من الثقافتين العربية والفرنسية. نظم الشعر منددا بالإستعمار، مناديا بالإصلاح مقاوما للإستبداد.

صبغ التبرم والتشاؤم أشعار بو شربية لأسباب عديدة منها:

عقمه، وموت أخيه، وموت أمه. ولم تفت تلك الأحداث في عضده، فإلى جانب تشاؤمه، هناك روح الهمة والانتصار والإرادة. وله مؤلف واحد مطبوع باسم: "مختارات من الأدب الفرنسي"، وهو ترجمة لنماذج من أدب النهضة الفرنسية، وله مؤلفات أخرى لم تطبع، لكن أشعاره مبثوثة في المجلات.

محمد الشاذلي خزنة دار:

من أكثر الشعراء التونسيين التحاما بقضايا شعبه، ومكافحة الاستعمار، له في هذا شعر وفير، إستشهد المؤلف بنماذج منه. فالشعر السياسي يحتل المكانة الأولى من نتاج خزنة دار. شارك في العمل الحزبي، ثم ابتعد عنه. تجاوز إنتاجه الشعري الخمسين ألف بيت من الشعر العربي ،نشر في المجلات والصحف، وجمع قليل منه في ديوان، هو الأثر الوحيد المنشور باسمه. يأخذ المؤلف على الشاعر ما نظمه من قصائد مهلهلة، وما في بعض قصائده من حشو في الألفاظ وأخطاء عروضية ولغوية. وبعض قصيده يعد نظما عاديا يخلو من المقومات الفنية. ثم وقف بنا المؤلف عند إمارة الشعر، وتلقيب خزنة دار بأمير الشعر في تونس، على غرار لقب أحمد شوقي. وكان الأحق بـــهذا اللقب الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي (1909-1934). يقول في هذا: "وأعتقد أن الأحق بـــهذا اللقب هو الشابي. فهو رائد تونس الأول في هذا الشأن، فبالإضافة

إلى مواقفه الوطنية الاجتماعية إلى جانب الشعر،فهو شاعر فنان دعا إلى تغيير المقاييس، وقاد في شبابه حركة إصلاح التعليم بالزيتونة حتى يقع تطوير الثقافة التونسية وتلقيحها بكل جديد مفيد".

عقد مقارنة بين أمير الشعراء أحمد شوقي والشاعر خزنة دار الملقب بأمير الشعر في تونس، أبان فيها أوجه شبه قد تكون هي المبرر لمنح خزنة دار إمارة الشعر إسوة بأحمد شوقي:

أولا: نشأتـــهما في عصر واحد.

ثانيا: اتصالهما الوثيق بالملوك.

ثالثا: ابتلاؤهما بالسجن.

رابعا: إنتاجهما الشعري الّذي يتميز بطول النفس ووحدة الموضوع وقوة السبك وتنوع الأغراض التي قالا فيها الشعر.

وينهي المؤلف مقارنته بأن أحمد شوقي إستحق إمارة الشعر عن جدارة أهلته لها ثقافته الواسعة، بينما لا يستحقها التونسي خزنة دار لثقافته المحدودة، وللملاحظات التي ذكرها المؤلف على شعره.

البشير الفورتي:

علم من أعلام الصحافة والأدب.ناضل من أجل السمو بالحرف وتطوير الفكر.عاش في الفترة التي ضعفت فيها دولة البايات وآزداد نفوذ الاستعمار الفرنسي. لهذا يتميز عصره بالكفاح والمقاومة والصمود،وظهور الحركات الإصلاحية المناهضة

للإستعمار.

تخرج من الزيتونة، ثم تلقى تعليما آخر في جمعية الخلدونية حيث درس المعرفة والعلوم العصرية، وتشبعت نفسه برغبة في مخاطبة الجماهير بقصد توعيتها وإرشادها، فاتجه إلى الصحافة فأصدر أول جريدة تونسية مطبوعة بأحرف الرصاص، هي جريدة "التقدم" عام 1906، بعد أن جلب من سوريا ومصر آلات الطباعة والأحرف العربية، وكانت الطباعة في تونس مقصورة على الطريقة القديمة، الطباعة على الحجر. واعتنت الجريدة بشئون العلم والأدب والفكر، وآستمرت في الصدور ست سنوات. كما أصدر عام 1912 جريدة "الهلال العثماني" باستنبول بالإشتراك مع عبد العزيز جاويش، كما أصدر جريدة "صوت الفلاح" عام 1914. ونشر مقالات في صحف تونسية أخرى. الأغراض التي تناولها في مقالاته عديدة منها كما يقول المؤلف: "نداء لحماية طرابلس، ودعوة إلى العناية بصحة التونسيين، وبأحباسهم، وبتعزيز مركز الخلافة الإسلامية، وحرية الكاتب، وتمجيد عظماء التاريخ، وتوضيح واجبات المواطن وحقوقه، والتنويه بمن فقدتـــهم تونس من أبطال وقادة".

يعتبر المؤلف "الطابع الفكري" أهم ما تتميز به كتابات البشير الفورتي، بغية إصلاح المجتمع ورقي الأمة. من أبرز مؤلفاته: "فضائح

وفظائع" و"العالم الإسلامي" من ثلاثة أجزاء، ومذكراته، وتراجم للأعلام.

محمد العربي الكبادي:

يقول عنه المؤلف: "لقد واجه مساعي الإستعمار الفرنسي حينما أراد القضاء على اللغة العربية وعلى ما تمثله حضارة الإسلام من روح أصيلة جادة، فآختار طريق الصدق والحقيقة، و لم يتملق قومه أو ينافق أوضاعهم الفاسدة، بل هاجم بكلّ ما يملك من شجاعة وبشرف المفكر ونزاهة العالم، هاجم مرتزقة الفكر ودعاة التغريب، وأنصاف المثقفين، أولئك الّذين لا قدرة لهم على حمل الرسالة ومسك المشعل.

أسهم الكبادي في حركات الإصلاح، حيث دعا إلى نبذ التعصب الفكري، والتصدي لحملات التشكيك في البطولات العربية، والإعتزاز باللغة العربية وتراث العرب.

ينحصر نشاطه الأدبي في قرض الشعر والنقد الأدبي، أهّله لذلك ما يتمتع به من ثقافة عربية محضة، واستيعاب أمهات الكتب العربية القديمة. حصر المؤلف ثقافة الكبادي في ملكته النقدية الشاملة، وحفظه لمتون الشعر وأسانيد الرواية ومعرفته بنوادر الأخبار. أنشد يقول عن الشعر:

ولع الناس حديثـا وقديـما   بنفيس القـول نـثـرا ونظيمـا

لكن الشـــعر لـــه منـــزلة في قلوب القوم قد تعلو النجومـــا
كم أمور وقـــف الفكر على طرقها لا يعـــرف النهج القويـــما
كشف الشعر له أس ـــرارها فمضى يسلـــك منها المستقيمـــا

يصف المؤلف الكبادي يأنه "أنموذج يحمل سمات ما قبل عصور التدوين والكتابة. وتعتبر تجاربه في الرواية والإنتاج منهجا جديدا خاصا به، إذ أنه ساهم في تخليص العقل العربي من الأوهام والأساطير وتزييف الحقائق التي سعى في آختلاقها الخيال ومتاهات النقل الشفهي عبر مختلف عصور الأدب العربي".

تمثلت مكانة الكبادي الادبية في محاضراته الأدبية، وفي أشعاره، وفي دراساته. وتحدد موقع الكبادي كشاعر بين الكلاسيكية القديمة والرومانسية الحديثة.

زين العابدين السنوسي:

سلط المؤلف الأضواء على جهاد السنوسي في مجال الصحافة. حاول إصدار مجلة "العرب" فلم تأذن له الحكومة. لكنه أخذ آمتياز مجلة "البدر" وأصدرها تحت اسم "العرب" عام 1923. وسرعان ما سحب منه، فأصدر منشورات أخرى مثل "لطائف العرب" و"حديقة العرب" و"مقالات العرب". ثم أصدر "التقويم الاجتماعي". وأصبح رئيسا لتحرير جريدة "النهضة الأدبية" عام 1927. ثم حصل على آمتياز إصدار مجلة "العالم الأدبي". أصدر

بعدها جريدة "تونس" التي كتب افتتاحياتها تحت عنوان "تونس قبل كل شيء"، لكنها أوقفت عام 1939، لتعود إلى الصدور عام 1948، ثم توقفت مرة أخرى عام 1952.

مؤلفات زين العابدين السنوسي وفيرة ومتنوعة تحمل العناوين الآتية : عبد الرحمن بن خلدون-محمود قابادو-محمد بيرم الخامس- الوطنية في شعر ابن حمديس- فتح أفريقيا "رواية تاريخية" — الدستور التونسي أو آسترجاع السيادة الوطنية- أبو القاسم الشابي: وحياته وأدبه- بنت قصر الجم "قصة طويلة" — الشاذلي خزنة دار أمير شعراء تونس "مخطوط"- شعراء القيروان "جمع وتعليق"- الأدب التونسي في القرن الرابع عشر "في مجلدين".

ثمّ يستعرض المؤلف جهاد السنوسي السياسي والوطني والفكري، ويقول عنه: "حياته كلّها صفحات من المجد والكفاح من أجل المبادئ التي آمن بـــها منذ صغره وهي محبة هذا الوطن، والذود عنه، وتكريس الجهد لخدمته إلى آخر رمق".

حسن حسني عبد الوهاب:

حدّد المؤلف سمات هذا الأديب المفكر في أصالة الإنتاج وتفتحه على الثقافة الغربية وتعمقه في الإنسانية، فأصبح بذلك مرجعا للثقافتين الشرقية والغربية. تدرج في مراحل التعليم فحصل على الابتدائية، هيأته لدخول المدرسة الصادقية، وفي باريس التحق

بـــمدرسة العلوم السياسية. هيأته لدخول المدرسة الصادقية، وفي باريس التحق بمدرسة العلوم السياسية. وبعد وفاة والده، اضطرّ للعودة إلى تونس متدرجا في سلك الوظيفة الإدارية. وفي عام 1920 عيّن رئيسا لخزينة المحفوظات التونسية. ثم عيّن عام 1943 وزيرا للقلم ثم استقال ليتفرّغ لشؤون التأليف وتحقيق التراث. عيّن بعدها مديرا للمعهد القومي للآثار والفنون. وكان قد درس التاريخ في المدرسة الخلدونية والمدرسة العليا للغة والآداب العربية.

شخصيته متعدّدة الجوانب. إتسمت ثقافته وأعماله بالشمول. تحدث الكاتب عن شخصية حسن حسني عبد الوهاب الأدبيّة والتاريخيّة، التي توزعت اهتماماتها الفكرية بين الأدب والتاريخ وكتب التراث، علاوة على آهتماماته في مجالات أخرى.

آثار حسن حسني عبد الوهاب كثيرة ومتنوعة، تتمثل في:

- أبحاث تاريخية وأدبية نشرت في الصحف والمجلات.
- فصول ومقالات بالفرنسية نشرت في دائرة المعارف الإسلامية أو في المجلات العلمية والأدبية.
- مداخل تاريخية ومقدمات لبعض المؤلفات التاريخية.
- مؤلفات وتحقيقات باللغة العربية.
- كتب وأبحاث باللغة الفرنسية.
- مؤلفات مخطوطة.

وأشار المؤلف إلى تعيينه عضوا بمجمع اللغة العربية، ومشاركته في المؤتمرات وآتصاله بمشاهير الأدباء والمفكرين بالوطن العربي.

يتبيّن من خلال فصول هذا الكتاب الممتع، أن مؤلفه ركز الأضواء على الشعر أكثر من غيره، أم لعلها طبيعة الأديب العربي الميالة إلى قرض الشعر. كما آهتم ببيان الشعر السياسي ومناهضة الإحتلال، وهذا راجع إلى طبيعة الفترة التي مرت بـــها تونس تحت وطأة الإحتلال الفرنسي. كما أن إهتماماته الصحفية تستميله، فيشرح بإسهاب جهاد الأدباء في إصدار الصحف والمجلات. (*)

* نشرت هذه الدراسة بمجلة (القافلة) السعودية ذو القعدة 1403 (أغسطس/ سبتمبر 1983)

(5) رحلة في الشعر التونسي
بعد أبي القاسم الشابي

جذبني عنوان الكتاب:"رحلة في الشعر التونسي بعد أبي القاسم الشابي" للأديب رشيد الذوادي. تناول الحركة الشعرية في تونس، في عصر الشابي وما بعد الشابي، وآختار نماذج شعرية لكلّ جيل. رجعت بي الذاكرة إلى سن الحداثة، حين قرأت أشعار الشابي وتأثرت بمعانيها القوية وصورها الفنية الموحية، فحفرت في النفس دوائر وجد لا يمحوها الزمان (1). تلك هي عظمة الشابي، فمن غيره بث إرادة الحياة لشعبه المغلوب على أمره؟ ومن غيره فتن بالطبيعة الخلابة وعشق الفطرة والوجه الصبيح؟ شعر الشابي كله عذب منهله طيب أريجه قوي إيحاؤه، حتى صار مفخرة تونس.

إذا راجعنا دواوين الشعراء التونسيين، قرأنا شعرا كثيرا، لكن القليل منه يبقى، يحرك الوجدان ويشجي القلب. والشابي هو العلامة المضيئة في سماء الشعر العربي.

لا أحد ينكر الأثر الواضح الّذي تركه في النفوس، في فترة حالكة سيطر المستعمر على مقدرات الأمة العربية، لذا جاءت الصيحة

القوية المدوية التي أطلقها الشابي من تونس، وكان الصدى قويا إذ رددتـــها الملايين من بعده (2):

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر

ولا بد لليل أن ينجلي ولا بد للقيد أن ينكسر

إذا الشعب يوما أراد الحياة الحرة الكريمة، فلا بد أن يحقق بالإرادة والكفاح كل ما يريد، فالقدر لا يستجيب للشعوب المستضعفة المستكينة. وهاك صيحة الزعيم الوطني المصري مصطفى كامل تدوي في مصر ويتردد صداها في أرجاء المنطقة العربية، إذ يقول: "لا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة". فمن أراد الحياة الحرة الكريمة، عليه أن يقاوم عوامل اليأس والإحباط، ويتشبث بمعاني القوة والإرادة. .

وذاك شاعر المهجر إيليا أبو ماضي يردد مقولته السائرة: "كن جميلا تر الوجود جميلا". فلن تحس بجمال الوجود إلا إذا نبع الإحساس من داخلك...قس على ذلك مقولات شعرية ونثرية أخرى، تعرج بك على نفس الطريق وتترك الأثر البالغ في النفوس. تظهر عبقرية الأديب حين يعبر عن آلام وآمال الإنسان بصدق وشفافية، حين يعبر صوته عن ضمير أمته.

يقدم رشيد الذوادي دراسة موجزة عن الشعر التونسي في عصر الشابي في الثلاثينيات، وما بعد الشابي، مع سرد لبعض

الشعراء المعاصرين للشابي ومن جاء بعدهم، وهي دراسة مكثفة أرى أنـــها في حاجة إلى الإطالة للإبانة عن المدارس الأدبية والمناهل الثقافية والخصائص الفنية للإبداع الشعري. لكن المؤلف آثر تقديم نماذج إختارها بعناية، ولعل إختيار النصر الجيد كنموذج عمل محير، قد يوفق المؤلف في آختياره وقد لا يوفق. لكننا نقر هنا بحسن اختيار النماذج الشعرية الجيدة، في الأغلب الأعم، مما يغني القارئ غير التونسي على وجه الخصوص، عن قراءة عشرات الدواوين التي قد لا يجدها متاحة، وهو في معرض الإطلاع على الشعر التونسي منذ فترة الثلاثينيات حتى الثمانينيات.

ضم الكتاب نماذج شعرية كمختارات تخضع لمزاج المؤلف، الذي آنحاز إلى شعراء خصهم بنماذج أكثر، وإلى موضوعات بعينها وافقت هواه، وصور جمالية أقرب إلى نفسه، فآصطحبها معه في رحلته الشعرية. في هذه المختارات نلحظ ميل المؤلف إلى اختيار القصائد التي تتغنى بتونس وحب الوطن، وإلى القصائد الدينية، مع ميل لبعض قصائد الغزل العفيف، مع اختيار قصائد وصفية عن حال الأديب والشاعر واليتيم والراقصة!.. وبذل الجهد في حشد أكبر عدد من الشعراء القدامى والمعاصرين، بغية إمتاع القارئ وهو يصحبه في قارب صغير يتهادى في بحور الشعر، ومن حوله رياض غناء وطيور ترفرف كأنه تحتضن بأجنحتها الأفق المترامي. وفي

المختارات صور جمالية مستوحاة من الطبيعة الخلابة، ومن النفوس الطيبة، ومن معاني إنسانية رقيقة. حرص المؤلف على تقديـــم النماذج دون تعليق أو تحليل نصي، فيما عدا الدراسة الموجزة التي تميل إلى السرد التاريخي للرحلة الشعرية عبر عقود زمنية متعاقبة، أكثر مما تميل إلى دراسة نصية للمختارات، تاركة الحكم للقارئ، يعجب بقصيدة ويستبعد أخرى، ما شاء له حب الإمتاع والمؤانسة.

الملاحظ أن بعض قصائده المختارة نقلها من كتب الدراسات الأدبية، مثل كتاب زين العابدين السنوسي "الأدب التونسي في القرن الرابع عشر" في طبعتيه عامي 1979 و1982. وكتاب د.عمر بن سالم "مختارات لشعراء تونسيين" طبعة 1992.

كان من الأفضل إختيار القصائد من الدواوين الأصلية، وليس من المختارات لمؤلفين آخرين، كما أن هناك قصائد لم يذكر مصادرها.

أزمة الأدباء التونسيين تكمن من تطلعهم إلى الإنفتاح على المشرق العربي، وكسر حواجز العزلة الثقافية، التي حددت الإقامة في حدود جغرافية ضيقة، رغم أننا أبناء عصر الأقمار الصناعية والإرسال المرئي عبر أطباق هوائية تستقبل قنوات العالم بأسره. فما زلنا نحن العرب لا نعلم الكثير عن الأدب التونسي والسوداني والموريتاني والليـــبـــي ربما نعرف اليسير عنه، مما يؤكد العزلة الثقافية، في الوقت الّذي تعاني فيه دور النشر من كساد تجارة

الكتاب الأدبي، لا نجد تعاونا ملحوظا بين دور النشر لتبادل الكتب وترويجها. قد تكون هناك معوقات فوق طاقة أصحاب دور النشر...

ذاع الشابي لموهبته أولا، وآنفتاحه على دول المشرق، بالتحديد مصر، وآتصاله بجماعة أبوللو. حذاه نور الدين صمود في الستينيات، والصادق شرف في السبعينيات. وانكسرت حواجز العزلة عن طريق التراسل بين الأدباء- هي جهود فردية تستحق الإشادة. كان الصادق شرف يبعث من تونس بدواوينه إلى ادباء في مصر وسوريا وغيرهما (3). وبإصدارات سلسلة "الأخلاء". كان همه الأول إطلاع الادباء العرب على الحركة الأدبية في تونس، ونجح في ذلك نجاحا ملحوظا، فيما فشلت فيه مؤسسات ثقافية كبيرة!.. كذلك أحب رشيد الذوادي أن يكسر حواجز العزلة، فسعى جاهدا لعقد صلات ثقافية مع الأدباء العرب في مختلف الديار. اتصل برابطة الأدب الحديث بالقاهرة، وألقى فيها العديد من المحاضرات، بقصد التعريف بالحركة الأدبية في تونس.

صدرت له في القاهرة أربعة كتب :"أحاديث في الأدب" وهي حوارات مع ثمانية أدباء مصريين وأديب مغربي، وكتاب "رحلة في الشعر التونسي بعد أبي القاسم الشابي"، موضوع هذا المقال، والثالث "أدباء من مصر" ضم دراسات عن أربعة عشر أديبا

مصريا، والرابع "مقاهي الادباء في الوطن العربي"، وأعاد طبع بعض كتبه مثل :"رواد الإصلاح"، و"جماعة تحت السور"، علاوة على مؤلفاته الأدبية المتنوعة في تونس، كما شارك في ندوات ومؤتمرات أدبية في مصر وليبيا والمغرب، نذكر منها مشاركته في ندوة مؤسسة الأهرام :نحو مشروع حضاري عربي" عام 1994، والندوة الدولية لإحياء الذكرى الألفية لأبي حيان التوحيدي، التي عقدها المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة عام 1995.

يعتبر كتاب الذوادي "رحلة في الشعر التونسي بعد أبي القاسم الشابي" محاولة مخلصة من صاحبه لإلقاء الضوء على الحركة الشعرية في تونس، منذ ثلاثينيات هذا القرن حتى يومنا هذا. وكسر حاجز العزلة الثقافية، فقد صدر الكتاب في مصر عن الهيئة العامة للكتاب، فكانت خطوة رائدة تنم عن أرادة شابية إستلهم المؤلف روحها، لا ليقدم نفسه كباحث، وإنما آثر أن يكون مؤلفه ديوانا شعريا جامعا، فأصبح الكتاب مهرجانا للشعر التونسي. إختار المؤلف لعنوان كتابه (رحلة) قاصدا بـــهذه الكلمة إمتاع قارئه وهو يتجول في رياض الشعر، فيتنسم أنسامه الرقيقة، وتطيب نفسه بنغمات شعرية حلوة.

كما قصد المؤلف إلقاء الضوء على الشعراء التونسيين، وكتابة نبذ مختصرة عن حياتهم الأدبية ودواوينهم، وأهم ما يـــميز إبداعاتهم. حدثنا عن أصوات شعرية في جيل الشابي، أمثال:

مصطفى آغة، الّذي يتسم شعره بالذاتية والروح الفلسفية الساخرة، ومحمد الشاذلي خزندار، وشعره وطني في أغلبه وقد واكب الحركة الوطنية، وسعيد أبي بكر الذي يشبهه المؤلف بحافظ إبراهيم في مصر. وقد تفاعل بأحداث عصره وتصدى للاستعمار، حاثا الشعب على الكفاح والثورة.

ومن شعراء هذا الجيل أيضا : محمد السعيد الخلصي ومصطفى خريف. أهم ما يـــميز شعر هذه الفترة الوقوف ضد تيار الفرنسة أو التجنيس، والإعتزاز بتونس العربية المسلمة. شكلت إرادة الحياة التي بثها الشابي في قصائده تيارا جارفا في ذلك الزمان، فقد إرتفعت أصوات شعرية تبث روح الإرادة في النفوس البائسة، مبشرين بالغد الجديد لإنسان حر.

بعد جيل الشابي جاء شعراء نوابغ، أمثال : محمد العروسي المطوي، متعدد المواهب، إذ كتب القصة والرواية والشعر، إلا أن شعره قليل، وله ديوان وطني بعنوان "فرحة الشعب" (4). كما حدثنا الذوادي عن محمد العربي صمادح ومحسن ابن حميدة والشاذلي زوكار ومنور صمادح ونور الدين صمود وعمر السعيدي الغريبي وجعفر ماجد والميداني بن صالح...وللأخير باع في الشعر الوطني، إتجه في بعض منه إلى رسم الشخصية كما في قصيدة "الخفافيش الصغار"، حيث رسم صورة شعرية ساخرة للذين يعيثون

فسادا في المجتمع ويشوهون صورته التي صنعها أبطالها بالكفاح والمثابرة...نقتطع منها (5):

كان تلميذا غبيا،

وكسولا، وشقيا،

فترامته المعاهد

وتلقته جحور للمفاسد،

والمقاهي،

ونداءات الملاهي

وفي المقابل يصف شعره في قصيدة (شعري ودعاة الفن)(6):

شعري : لهاث الكادحين على الدروب

شعري: أهازيج الشعوب

من صارعوا الأمواج، وآقتحموا الخطوب

من عبّدوا الطرق المديدة في الجبال،

وفي الصحاري والسهوب

وقد صادف محمد بوَ شربية هوى في نفسي، إذ أوجعني وهو يصف حال الأديب، حين عبر عن ذاته تعبيرا صادقا يشيع فيه الأسى لحال الأديب. وأردد معه مقولته الموجعة(7):

ما هموم ذوي الآداب من فرج   ولا تضاء دياجيهم بأقمار

كما شد آنتباهي سعيد أبو بكر ببيتيه الساخرين (8):

تأمل معي في الشرق والغرب   إنني أرى ليلة ليلاء مزقها بـــرق

إذا اتفقوا قمنا نصافح بعضنا ولولا اتفاق الغرب لم يتفق شرق

في البيتين تـــهكم على حال الشرق في زمان الشاعر، التابع لمزاج الغرب وأهوائه. كأس تجر عناها، وريشة حادة كالنصل تفتق الجلد، تكشف الداء المستشري في عضد الشرق. أمّا الشاعر عمر السعيدي الغريبــــي فيجمع بين إحساس الشابي بالجمال، ورومانسية إبراهيم ناجي. يقول في قصيدته "ذكريات" (9):

كم تغنينا بألـــحان الغـــرام كم تعانقـــنا كأغـــصن الـــورود

كم تبادلنا مناجـــاة الهيـــام كم سقانا الحب من نـــهر الخلود

كم بنينا من أمانيـــنا قصـــورا بيـــن جنات من أحـــلام عذبـــة

كم قرضنا هاهنا شعرا مثيـــرا يطرب القلب ويـــجلي عنه كربه

وتطالعنا أصوات شعرية معاصرة جددت في الصورة الفنية، وغلفت الخطاب الشعري بالرمز، وآستحدثت صياغة تقتصر على رسم صورة فنية أو طرح تساؤلات. وتطرق الشعراء إلى كنه الإنسان ودوره في عالمه، وأحزانه، وآغترابه. وإذ يواجه الشاعر متغيرات عصره وتناقضاته ومادياته، يغترب الشاعر ويتقلص دوره ويأتينا الشعر جنائزيا وسوداويا..

يعرض رشيد الذوادي في مختاراته أصواتا شعرية كـــ: سويلمي بو جمعة، والطاهر الهمّامي، ويوسف رزوقة، وسوف عبيد، والمنصف الوهايبي، والهادي عبد الملك، وعبد الله مالك القاسمي، وعبد السلام لصيلع، والصادق شرف، والبشير المشرقي، وهشام بو

قمرة، وفاطمة الدريدي، ومحجوب العياري، وآدم فتحي القاسمي...وبعض هذه الأصوات تمثل التيار الحديث...منها قصيدة "جنازة الوردة" ليوسف رزوقة(10):

وردة شيعت في الصباح جنازتـــها بالغناء..

لم تمت يا صديقي كعادها في المساء..

ملأت غابة المجرمين شذى

لم تكن في الحقيقة تخشى الأذى

رفعت رأسها

ثم ما لبثت أن تـــهاوت بكاء..

بلغت قمة الصمت فآنفجرت..

سكبت دمها في الشوارع وآنتحرت..

أيها الجهلة!

هل سألتم من القتلة!

هل سألتم من القتلة!

إن كل الجرائم محتملة!

إن كل الجرائم محتملة!

ونتوقف قليلا عند قصيدة موجعة لعبد الله مالك القاسمي: "نزف الغيوم إلى النهر"، تصف حال العرب في تفرقهم وتشرذمهم، ربـــما بفعل سياسة حمقاء، تـــهدر الإمكانية وتبذر الفتنة. يأتي

صوت الشاعر المأزوم بواقع الحال، فيكتب قصيدته الزاخرة بأسئلة حائرة، يستهلها بقوله(11):

لماذا حمام يطير

لماذا فضاء رصاص

لماذا دم البحر فوق الرمال يراق

لماذا قرنفلة للعدو

رماح لكل الرفاق

يكتفي القاسمي بطرح الأسئلة ولا يبوح، كعادة شعراء اليوم، إذ يخشون الإسترتسال حتى لا يكتبون ما يشي بالتقريرية. يعمدون إلى رسم الصورة الفنية، وتغليفها بالرمز، وآستدعاء التاريخ والتراث، وطرح التساؤلات، تاركين القارئ يستمتع بالصورة الفنية ويستشف منها رؤية الشاعر. والقاسمي في قصيدته الحداثية، قد أوجعه واقع الحال مثلما أوجع الشابي في زمانه، آلمه تدني الواقع مثلما آلم الشابي، لكن الشابي وجه الخطاب الشعري المباشر إلى شعبه، أو قل الخطاب الصريح، وطفق يشخص العلل والأدواء...ويهوي بفأسه على جذور الفساد، أو هو تمنى أن يفعل هذا (12):

أيها الشعب! ليتني كنت حطابا فأهوي على الجذور بفأسي!

لعله بـــهذا يوقظ الراقدين المستضعفين.

في مختارات الذوادي مواجع ومواجد أخرى. هناك محجوب العياري يعرض بضاعته الشعرية في السوق البلدي. وبعد إنقضاء النهار يعرض على تاجر أن يأخذ كتبه يلف بـــها الشاي ويعطيه تبغا. صورة إنـــهزامية سطرها في قصيدته "شاعر" قد لا نوافقه عليها (13). وإن حاجنـــي ناقد بأنـــها صورة رمزية تعبر عن معاناة شاعر(14).

الرحلة الشعرية مع صاحبها رشيد الذوادي ممتعة وطويلة، في صحبة فرسان الإبداع الشعري التونسيين الّذين جاءوا بعد أبي القاسم الشابي، وكانوا-على حد قول الذوادي- تتويجا للأنماط الشعرية الحديثة التي أدت إلى التشكيل الجديد كما يقول عنهم: "إن بعضهم تحقق على يديه ما لم يتحقق لغيره من الشعراء في المرحلة السابقة...وبعضهم أتحف الناس ببذور الثورة والتمرد..وآخرون تأثروا بالشابي، فقاموا بتحطيم القيود التي كبلت الشعر والشاعر..ومارس بعضهم التجربة الشعرية التي هي في أعماق الواقع الملتحم بتطلعات الجماهير"(15)

الهوامش:

*نشرت بمجلة "الشعر" المصرية، ع أفريل 1996، ومجلة "الإتحاف" التونسية-العدد123-مارس 2001

(1)مقال (كلمات عاشت في وجداني) لحسني سيد لبيب: (المجلة العربية) السعودية-أكتوبر 1982-ص66/64

(2)قصيدة (إرادة الحياة): الأعمال الكاملة-أبو القاسم الشابي-ج1ص236

(3) مقال (الرؤية الإبداعية في شعر الصادق شرف) لحسني سيد لبيب:مجلة (الشعر) المصرية-أبريل 1995-ص101/96

(4) مقال (الاتجاهات الأدبية عند محمد العروسي المطوي) لحسني سيد لبيب :مجلة (المعرفة) السورية-يونيو1986-ص197/187

(5) رحلة في الشعر التونسي بعد أبي القاسم الشابي: رشيد الذوادي-القاهرة 1995-ص 133

(6)المصدر السابق-ص139

(7)المصدر السابق-قصيدة (الأديب)ص81

(8)المصدر السابق-مقطوعة (إذا اتفقوا..)-ص90

(9)المصدر السابق-ص 119

(10)المصدر السابق-ص170

(11) المصدر السابق-185

(12)قصيدة (النبي المجهول):الأعمال الكاملة للشابي-تونس 1984-ج1-ص145

(13)رحلة في الشعر التونسي بعد أبي القاسم اشابي-رشيد الذوادي-ص225

(14)تحاكي هذه القصيدة في مضمونـــها ما كتبه حسني سيد لبيب في قصته (معاناة)[مجلة (الفيصل) السعودية-أكتوبر 1989]..مفادها معاناة قاص ونشره مجموعة قصصية لا يجد من يشتريها، فيقترح على الفاكهي أن يعرضها مع الفواكه لعلها تباع، ويفاجأ بالفاكهي يدس في يده مبلغا، إذ استطاع أن يلف الفواكه بأوراق المجموعة القصصية!...

(15)كتاب (رحلة في الشعر التونسي)-ص35

(6) رواد الإصلاح

يضم كتاب "رواد الإصلاح" للكاتب التونسي رشيد الذوادي، مجموعة من الدراسات التاريخية عن زعماء ورواد الصحوة والوعي في العالم الإسلامي. بدءا بالحديث عن منهج الشيخ التونسي محمود قابادو، في بحث أسباب تأخر العالم الإسلامي، رغم جوهر الإسلام الداعي إلى التقدم، وإعمار الأرض. وقد إقتبس الأوروبيون أسباب تقدمهم العلمي من تعاليم الإسلام وحضارته، فسادت أوروبا على البلاد الإسلامية.

يذكر محمد الفاضل بن عاشور أن جماعتين انتظمتا للدعوة إلى الإصلاح بتونس هما:

-جماعة الوسط الزيتوني: التي سارت على نهج محمود قابادو وفكره. برز منها الشيخ سالم بو حاجب، والشيخ محمد بيرم الخامس.

-وجماعة المدرسة الحربية بباردو: التي أحاطت بالمذاهب

والنظريات، وتمرنت على الرياضيات والعقليات والفنون الحربية، برز منها الجنرال حسين، ورستم.

يلقي الكتاب الضوء على رواد الإصلاح في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، متتبعا سير سبعة من هؤلاء الرواد، وهم: الجنرال حسين، خير الدين التونسي محمد بيرم الخامس، جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، عبد الحميد بن باديس، محمد البشير الإبراهيمي.

الجنرال حسين (1816-1886م):

يلقي المؤلف الضوء على الجنرال حسين أو الفريق حسين، كما كان يكنى.

إنحدر من عائلة جركسية كانت تقطن جبال القوقاز. نزح إلى تونس في عهد الأمير مصطفى باشا وكان دون العشرين. تربى في كنف الأمراء الحسينيين بقصر باردو، بباردو، وتتلمذ على يد الشيخ محمود قابادو، وهو شخصية عبقرية جمعت معارف عديدة من فنون القول والحكمة والرياضيات والآداب. يرى الذوادي أن الفريق حسين تفوق على جميع أقرانه(1). نال ثقة أساتذته بإتقانه العلوم العسكرية والعقلية واللغات، فآقترب من أهل الحل والربط، ورقي في عهد أحمد باشا إلى رتبة "عقيد" وألحق بعساكر الخيالة، ثم عين "أمير الاي".

ترأس مجلس بلدية تونس المكون من عشرة أعضاء، فكان أول رئيس بلدية في تاريخ تونس الحديث(2). تولى في هذه المرحلة تطوير وتحسين المطبعة الرسمية للدولة، ثم عين في "المجلس الأكبر" ثم رقاه الصادق باي عضوا في المجلس الخاص (3). لكن طبع هذا المصلح ليس من طبع الصادق باي فآستقال من منصبه وسافر إلى الخارج.

وعند عودته كلف بمسؤوليات مهمة، منها: نظارة المعارف، ثم نظارة التجارة، وغيرها..

كان الجنرال حسين شديد التعلق بنـــزعة الإصلاح، فآزر الوزير خير الدين في منهجه الإصلاحي، ويعهد له هذا بعديد المهمات. إلا أن كثرة المؤامرات إضطرته إلى الهجرة إلى إيطاليا، ومات بـــها سنة 1881.

خير الدين باشا (1820–1889م):

من زعماء حركة الإصلاح التونسي. جيء به إلى تونس عام 1837 وسنّه سبع عشرة سنة. تلقى تعليمه بتونس وأتقن العربية والفرنسية والتركية، وكان شديد التوقير للشريعة الإسلامية وعلمائها(4). ومن حسنات الباي أحمد باشا إهتمامه بخير الدين وحرصه على إدخال إصلاحات لهياكل الإدارة السياسية وألحقه بحاشيته، وكلفه بـــمهمة الدفاع في الدولة التونسية في قضية محمود

بن عياد الّذي فر بأمواله إلى باريس بعد أن آغتصبها من الشعب. ولما أحس خير الدين باشا بفساد أوضاع البلاد إستقال من مناصبه، ثم عين من جديد رئيسا للوزراء.

تحمّل خير الدين عدة مسؤوليات سياسية وإدارية في كل من تونس وتركيا.ومن إصلاحاته في تونس تأسيس "جمعية الأوقاف" و"المدرسة الصادقية". دفعه اليأس من الإصلاح إلى الهجرة وحمل معه كتابه "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك"، الذي أثار جدلا واسعا في تلك الحقبة. وعلى الرغم مما قاسى خير الدين من محترفي السياسة، استطاع أن يخطط مناهج تفيد في إصلاح البلاد مستقبلا (5).

محمّد بيرم الخامس (1840—1889م):

شخصية رائدة هامت بالتجديد الفكري وعاشت تتألم من أوضاع البلاد العربية والإسلامية. عمل مع خير الدين باشا ووجه إهتمامه إلى ميادين الإصلاح الاجتماعي والديني. وأمام سخطه على الأوضاع وتبرمه من الحياة إستقر رأيه على الهجرة إلى المشرق العربي، حيث أصدر كتابه "صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار"، المكون من خمسة أجزاء، ألف بعض أجزائه في الأستانة. أسندت له وزارة رياض باشا خطة القضاء في محكمة مصر الابتدائية، كما عهد إليه بعدّة مسؤوليات في مصر، منها تعيينه في

وزارة نوبار باشا للإدلاء بآرائه في القوانين الوضعية، ومدى مطابقتها للشريعة الإسلامية. وفي الأسكندرية أصدر جريدة "الأعلام" عام 1884. ومات بالقاهرة ودفن قرب ضريح الإمام الشافعي.

تعددت مؤلفاته الداعية إلى التمسك بأصالتنا وفيها إضافات ضافية وإشارات ذات مغزى. تتلمذ على أعلام الفكر في الزيتونة، أمثال: سالم بو حاجب، مصطفى بيرم، علي العفيف، الشاذلي بن صالح، الطاهر بن عاشور. وهو من أسرة "بيرم" التي جاء جدها الأعلى عام 1073م مع فرق الجيش العثماني بقيادة "سنان باشا" لطرد الأسبان من تونس. ساهم في النهضة الفكرية، ودعا أبناء جيله إلى إعتناق مبادئ الإصلاح والتمسك بالأصالة والتفتح مع الغير. من آثاره الفكرية، غير الكتاب الشهير الذي أشرنا إليه: مختصر فن العروض، التحقيق في مسألة الرقيق، رسالة عقد الدر والمرجان في سلاطين آل عثمان، تحفة الخواص في حل صيد بندقية الرصاص، سكنى دار الحرب، تجريد السنان على خطاب رينان.

لخص الكاتب دعوة محمد بيرم الخامس إلى الإصلاح في النقاط التالية:

- الرجوع إلى مبادئ القرآن السامية، وتخليص الإسلام من البدع والأوهام.

- توجيه الرأي العام الإسلامي إلى العلوم الحديثة، وتجديد أساليب التعليم.
- ضبط خطة لمواجهة كل من يسعى إلى مقاومة الإسلام والعروبة.
- تحرير الدين من الجمود وفتح باب الاجتهاد.

جمال الدّين الأفغاني (1839–1897م):

من النابغين النابـــهين في الشرق. عاش أشد أزمات العالم الإسلامي، وساح في معظم القارات، فآلمته المظالم والقسوة كثيرا، فهاجر من بلده، وقضى مدة طويلة أحدث فيها دويا مع محمد عبده. والأفغاني رائد ساهم بعمله وفكره في الدعوة إلى تحقيق مجتمع الكفاية والعدل.

من مواليد "أسعد أباد" بكابول عاصمة أفغانستان. ينتمي إلى أسرة ذات نفوذ تنحدر من أصول عربية حجازية. درس علوم الشريعة والمنطق والحكمة والرياضيات والفلك.

قصد مصر فأقام فيها في الفترة الأولى أربعين يوما، كما أقام بعد عودته من إستانبول ثـــماني سنوات. وآنتظمت بينه وبين الطلاب حلقات المذاكرة والدراسة. وانعقدت في مقهى "البوستة" بالقاهرة مجالس التعلم والتثقف، للإسهام في التخطيط لمواجهة الصعاب والخطوب. من بين الطلاب الذين انتظموا في هذه المجالس: أديب إسحق، محمود سامي البارودي، الإمام محمد عبده. يذكر جرجي

زيدان في كتابه "مشاهير الشرق" أن الأفغاني لم يؤثر في قطر عربي مثلما أثر بأفكاره في مصر. بعث روحا جديدة نلتمسها فيما كتب عن الشرق الإسلامي، وما كتبه تلاميذه، وما ظهر في مجلات "العروة الوثقى" و"المنار" و"السعادة العظمى" و"الفجر" و"الهداية الإسلامية" و"الأزهر" و"لواء الإسلام" و"الشبان المسلمين" و"المجلة الزيتونية". يتمثل منهجه الإصلاحي فيما يلي:

- محاربة جميع أنواع التبعية للأجنبي، والتنبيه إلى خطر هيمنة الغرب الثقافية.
- الدعوة إلى التفتح والاجتهاد، وقيام جامعة إسلامية.
- التنديد بـــما يتسم به البعض من نفاق وتكالب على المنافع الذاتية.
- القضاء على الإقطاع في الشرق الإسلامي، ومقاومة الإحتكارات الأجنبية.

محمّد عبده (1849–1905م):

من روّاد الإصلاح الديني في مصر. حارب التضليل والزيف، وخاض معارك شتى.. هو شخصية دينية مجددة. عاش سبعا وخـــمسين عاما قضاها في التعلم والتدريس، وفي إعلاء مقاصد الإسلام والمناداة بنفع أبنائه. فيلسوف مجدد وكاتب إجتماعي وخطيب ثائر. تلميذ الأفغاني وزميله في النضال ضدّ إنحلال القومية

والاستسلام للمستغلين.

إهتمّ والده بتربيته، وألحقه بالجامع الأحمدي في طنطا، لكنه تخلّى عن الدراسة وعمل في الزراعة، حتى تدخل خاله الشيخ درويش خضر، فحبب إليه العلم والمعاني الروحية السامية. التحق بالجامع الأزهر سنة 1866. وحين قدم الأفغاني إلى مصر، إتصل به وتأثر بأفكاره الناضجة.

نشر مقالاته بجريدة "الأهرام"، رافضا تدخل الأجانب في شؤون مصر. تخرج في الأزهر عام 1877 بحصوله على شهادة العالمية، ثم عين مدرسا بجامعة الأزهر، ثم مدرسا للتاريخ بمدرستي دار العلوم والألسن.

خشي الخديوي توفيق من الدعوة الجديدة فنفى الأفغاني خارج البلاد، وعزل محمد عبده عن دار العلوم. وفي سبتمبر 1880 عين محمد عبده محررا بجريدة "الوقائع المصرية" ثم تولّى رئاسة تحريرها. وفي ديسمبر 1882 إتـــهم باشتراكه في ثورة أحمد عرابي، فحكم عليه بالسجن، ثم النفي لمدة ثلاث سنوات بسوريا. وأثناء النفي تلقى دعوة من الأفغاني ليلحق به في باريس، فتأثر بالحضارة الفرنسيّة وتقدم البلاد. تكاتف الأفغاني ومحمد عبده على إعادة مجد الإسلام. وفي باريس انضم إلى جمعية "العروة الوثقى" مع مجموعة من مريدي الأفغاني، الذين أقسموا على تحكيم كتاب الله تعالى في

كلّ عمل يقومون به. أطلق اسم "العروة الوثقى" أيضا على المجلة التي صدرت عن الجمعية في 13 مارس 1884. وتلـــخص الغرض من إنشائها في: تنبيه الضعفاء إلى مطامح الأقوياء، وشرح أسباب ضعف الضعفاء وقوة الأقوياء. وظل الأفغاني ومحمد عبده يعملان في صمت دفاعا عن الإسلام، إلى أن تعطلت الجريدة يوم 16 أكتوبر 1884 بعد صدور العدد الثامن عشر منها.

واصل محمد عبده جهوده في علاج العلل فأصلح المحاكم الشرعية، وأدخل نظاما تربويا في الأزهر، وآعتنى بالجمعيات الخيرية ومراقبة المدارس وتدعيم الصحافة الوطنية. كما دعا إلى إلغاء المجالس النيابية لعدم جدواها. تلخصت كتاباته في تطهير الدين من الأباطيل، وتحرير الفكر من قيود التقليد، والأخذ بأسباب العلم.

عبد الحميد بن باديس (1889–1940م)

من رجال الإصلاح الديني في الجزائر. ولد بمدينة قسنطينة، ونشأ في عائلة ثريّة تنحدر من الدولة الصنهاجية. تلقى علومه ودراسته الإسلامية على يد أستاذ الجيل حمدان لونيسي، ولازمه خـــمس سنوات. والتحق بجامع الزيتونة في الفترة (1908/1911م)، وحصل على شهادة "العالمية".

رسم معالم الطريق لنهضة إصلاحية ودينية في بلاده منذ زيارته للحجاز عام 1913، والتقى هناك بكلّ من: حمدان لونيسي،

وحسين أحمد الهندي، ومحمد البشير الإبراهيمي. ووضع أسس إنشاء "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، التي برزت إلى الوجود عام 1931.

من العوامل التي كوّنت شخصيته: تأثّره بالقرآن، وتوجيه أبيه له توجيها دينيا، وتجاوب الجزائريين معه، ومؤازرة الزعماء والأصدقاء. كان شاعرا وكاتبا قديرا، وشخصية ثرية خصبة، تمثل الدين الذي يفتح آفاق المستقبل. وكان مصلحا مجددا، وداعية دين متطورا، وإلى جانب محاربته للبدع والخرافات. ثار ضدّ فرنسة البلاد، وناهض سياسة التغريب وسعى إلى بناء الشخصية الجزائرية وتركيز الأصالة.

في مجال الشعر، نجد معظم أشعاره أناشيد وطنية لإيقاظ شعور الجزائريين وحفزهم إلى الكفاح. كما أنه أحد بناة الصحافة في الجزائر. أصدر في 2 يوليو 1925 جريدة "المنتقد" التي اتخذ لها شعارا: "الحق فوق كلّ أحد"، فأوقفتها السلطة الفرنسية. أصدر بعد شهور قليلة جريدة "الشهاب" الأسبوعية، التي تحمل في صدرها عبارة:"تستطيع الظروف أن تكفينا ولا تستطيع بإذن الله إتلافنا". ظلت "الشهاب" منبرا لكلّ القوى التقدمية في الجزائر، إلى أن أوقفها بنفسه بعد نشوب الحرب العالمية الثانية عام 1939.

وكان مبثوث الصلة بأعلام الإصلاح في المشرق العربي، أمثال:

شكيب أرسلان، الشيخ رشيد رضا، محب الدين الخطيب. وكان يسعى إلى ربط الجزائر بالمشرق العربي. وساعدته موهبته الخطابية على نشر دعوته، وآنكب على ميدان الإصلاح بطرق شتى، بدروسه الدينية بجامع الأخضر بقسنطينة (1913-1925م)، وإلقاء الخطب لإنــــهاض الشعب وإبراز أصالته وشخصيته. وقد بنى خطته الإصلاحية على بعث حركة تجديد دينية تخدم قضية البلاد، ونشر اللغة العربية باعتبارها مقوما من مقومات الأمة. أوجه الشبه بينه وبين محمد عبده الدعوة على نشر العدالة والثقافة بين الفقراء.

محمّد البشير الإبراهيمي (1889-1915م)

محمّد البشير الإبراهيمي، صاحب تاريخ حافل وعطاء ممتد، وأحد المجاهدين المناضلين من أجل تحرير المغرب العربي، المساهمين بقسط وافر في دعم الشخصية الجزائرية والثقافة العربية الإسلامية. ولد بمدينة (سطيف) ونشأ في أسرة دينية. هاجر إلى المدينة المنورة ووضع البذرة الأولى لتكوين "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين".

التصقت حياة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بشعبه، لذلك بادر عام 1913 لبعث حركة تربوية وإصلاحية وسياسية مع زميله المصلح الشيخ عبد الحميد بن باديس، وتوجت أعمالهما بتأسيس جمعية العلماء عام 1913.

فكر البشير الإبراهيمي زاخر بالقضايا والطموحات. دافع في

كتاباته عن الجيل الناشئ وحقوق المسلمين، ودور الأزهر في النهضة المصرية، وقضيّة فلسطين والمغرب العربي. كما دافع عن الكثير من الشخصيات العربية والجزائرية.. وصفه رشيد الذوادي، من خلال دراسته لسوانحه المنشورة في صحيفة "البصائر" بـأنه كـاتب قديــر (6).

الهوامش :

(1) رشيد الذوادي: رواد الإصلاح- الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 2002 – ص 32
(2) المصدر السابق – ص 33
(3) المصدر السابق- ص 34
(4) المصدر السابق- ص 43
(5) المصدر السابق – ص 66
(6) المصدر السابق- ص 180

(7) مقاهي الأدباء في الوطن العربي

في كتابه الممتع "مقاهي الأدباء في الوطن العربي"، ينقلك رشيد الذوادي إلى المقاهي العربية، في جولات سريعة يقدم فيها كلّ جديد وطريف، كلّ جاد وهادف، واضعا نصب عينيه أهمية المقاهي ودورها الرائد، إذ تستقطب تجمعات الأدباء، وتكون مكانا متاحا بديلا للصالونات الثقافية، وإن كان للصالون خصوصيته، وللمقهى طابعها العام. يركز الكاتب على المقاهي الأدبية في كل من تونس ومصر، ويوجز القول عنها في البلاد العربية الأخرى، لكنه إيجاز غير مخل، حيث نجح في التعبير عن المقهى بآعتباره ذاكرة تحكي وتروي أحوال الأدباء وقضاياهم.

الهدف من تأليف الكتاب كما يقول في المقدّمة، هو التعريف بـــمجالس الأدباء. يعرف بالأدباء والمفكرين بصفتهم أوفياء للتاريخ وللقضايا الكبرى وللغة العربية والأجناس الأدبية من شعر وقصة ورواية ومسرح ومقال.

قبل أن يتحدث عن مقاهي الأدباء، تحدث عن الصالونات الأدبية المختلفة، أشهرها (صالون مي)، والروابط والجمعيات والمجالس الأدبية.

تناول الكاتب الدور النضالي الذي أدته المقهى، فهي مركز إشعاع للوعي الوطني، وهي وسيلة للتجمع وتبادل وجهات النظر، وهي وسيلة لتسليم الرسائل السرية للمناضلين.

إهتمام الذوادي بسير المناضلين من أجل التحرّر وآستقلال الوطن في تونس والبلاد العربية، جعله لا ينسى وهو يتحدث عن مقاهي الأدباء، ذكر الدور النضالي الذي أدته المقهى، مواكبة بذلك حركات التحرر من التبعية.. حين يستدعي الذاكرة عن المقاهي وروادها من الأدباء والفنانين، يشيد من حين لآخر بالدور النضالي لهذه المقاهي، والأثر الذي أحدثته في تنمية الوعي القومي.

وفي الجزائر لعبت المقهى دورا مهما للحركات الأدبية والوطنية، كمقهى التلمساني. وكان للمقهى دور فعّال إبان الثورة الجزائرية، في نقل معلومات الثوار من خلال لقاءات أعضاء "جمعية العلماء الجزائريين" بمقهى نادي ابن باديس بقسنطينة بالجزائر. كما عايش مقهى "النهاية" بالجزائر العاصمة أحداث الجزائر الكبرى أثناء الثورة. ويذكر محمد الأخضر السائحي أن الشهيد "ابن مهيدي"، وهو أحد المناضلين الثوريين، أوفد أحد رفقائه في الكفاح سنة 1956م إلى مقهى "النهاية"، وطلب منه الاتصال بالشاعر الجزائري مفدي زكريا لينظم له قصيدا لجموع الثوار. وفعلا لبى الشاعر طلبه وكتب ثلاث محاولات شعرية اختيرت منها قصيدة

"قسما بالنازلات الماحقات" التي لحنها الموسيقار محمد عبد الوهاب وأصبحت النشيد الرسمي للدولة الجزائرية بعد آستقلالها (1).

أنشأ المناضل السياسي والمسرحي شباح المكي مقهى بسيدي عقبة بالجزائر، قدم فيها أنشطة مسرحية وأدبية، أثارت عداء "الباشا أغا بن قانة"، نائب الحاكم العسكري العام، وكان إقطاعيا وعميلا للمحتل، فسجن صاحب المقهى شباح المكي وقام بتعذيبه، فقامت حملة عالمية للتضامن مع صاحب المقهى عام 1937، مما آضطر السلطة الجزائرية إلى نفيه إلى مدينة الجزائر (2).

وأسس المناضل السياسي أحمد بن عبد الرحمـــان، صهر الرئيس الجزائري محمد بوضياف مقهى "الوداد" بوهران سنة 1947م. وللمقهى تاريخ مشرف وذكريات لا تنسى. يوجد بـــها مصلى وعدة أجنحة : جناح للسياسيين والمناضلين، وثان للشعراء والكتّاب، وثالث للصحفيين (3).

وكان المناضل المغربي عبد الكريم الخطابي يجلس في مقاه عديدة في الحي اللاتيني بباريس، أيام ثورات المغرب، ويلقي خطبا في مريديه وأنصاره تشجع على مواصلة مسيرة النضال من أجل الاستقلال (4).

ويتحدّث الكاتب عن المقهى القديم "جنان السبيل" بفاس، وكيف كانت ملتقى الأدباء والمثقفين وشباب الحركة الوطنية في

الأربعينيات والخمسينيات حتى تم استقلال المغرب (5). يحدّثنا الكاتب أيضا عن مقهى "البدوي" بوجدة، التي تنسب إلى الصوفي دفين طنطا بمصر (6). ويذكر الكاتب الدراسة التي أعدتــها باحثة أمريكية عن عالم المقاهي في مصر، مبرزة الدور العام الذي لعبته المقاهي العريقة في ثورة 1919 (7)، وإن لم يذكر آسم الباحثة.

وفي الكتاب طرائف ومفارقات تميل إلى التسلية والتسرية عن النفس، وترسم للقارئ صورا لأحوال أدباء المقاهي. ويجمل بنا أن نورد شيئا منها، لنقف على آتجاه الكاتب الذي عمد إلى تجنيب القارئ الملل الذي قد يصرفه عن مواصلة القراءة، وهي خصيصة بارزة في معظم كتابات الذوادي، قاصدا ألا تكون دراساته الأدبية جافة.

حين تطرق إلى الحديث عن "صالون مي"، قال إنّه ضم تشكيلة عجيبة قد تميل إلى التنافر، الذي ينحو إلى الاختلاف خارج الصالون، لكنهم في حضرة "مي" يميلون إلى الوجوم. يصف عباس محمود العقاد مي بأنــها وهبت ملكة الحديث وحسن إدارته بين مجلس المختلفين في الرأي والمزاج والثقافة. كما آمتلكت قوة الشخصية والذكاء اللماح (8).

ويرجع إلى كتاب جمال الغيطاني "ملامح القاهرة في 1000 سنة" ليروي قصّة اكتشاف البن: "إن أوّل من آهتدى إليها هو أبو

بكر بن عبد الله المعروف بالعبدروس. كان يـــمر في سياحته بشجر البن فآقتات من ثمره حين رآه متروكا مع كثرته، فوجد فيه تجفيفا للدماغ واجتلابا للسهر وتنشيطا للعبادة، فآتخذه طعاما، وشرابا، وأرشد أتباعه إليه، ثم وصل أبو بكر إلى مصر، واختلف الناس حول هذا المشروب الجديد: هل حرام أم حلال ؟" (9). ويستعرض الجبرتي قضية تحريم القهوة، ويقص علينا عن إمام مسجد، بباب الخلق، حرم شرب القهوة وأمر بإحراق البن، فقامت ضجّة بين من حرموا شرب القهوة ومن أباحوها (10).

يرى البعض أن القهوة من علامات الزعامة والرئاسة، مما حدا بالشاعر العراقي أحمد الخاني إلى تأليف كتاب عن "القهوة والحب"، وأهداه إلى كلّ شاعر عربي صب القهوة العربية في شعره ! (11).

أمّا الشاعر السوري محمد الحريري، مفتي حماه، فيجري مفاضلة بين الشاي والقهوة في قصيدة يقول فيها (12):

هاكها قهـــوة خلاصـــة بـــن   مرة الذوق تدفع النوم عـــنـــي
أين منها الشاي الذي ذكروه   فمن الشاي يا أخا الذوق دعني
أنت فضلت أعجميا على يعربي   وهـــذا من موجبـــات التدنـــي

وأوحت القهوة للشيخ أبي الفتح بن عبد السلام المالكي بنظم قصائد في مدح شربـــها، معرضا بالشيخ يونس العيناوي القائل بتحريـــمها (13). تعرض الذوادي في فقرات موجزة إلى ما أثير عند أول عهد الناس بشرب القهوة إلى الدعوة بتحريمها. وكان

حريا بالمؤلف أن يقدم بحثا مستقلا حول القضية المثارة، بدلا من الفقرات الموجزة المتناثرة في أماكن متفرقة من الكتاب. لكنه شاء أن يجعل كتابه جولة سياحية سريعة في المكان وفي الزمان، يقتطف من كلّ بستان زهرة، مخاطبا القارئ بلغة فيها مودة وبُعْدٌ عن الملل.

يروي المؤلف ما حدث في مقهى "المغرب" بتونس، حين يبادر فريد غازي بدفع الحساب، فيندفع الهادي نعمان قائلا: "أنا الّذي سيتولى دفع مقابل العشاء وهذا من مال الزيتون" . وللتاريخ والذكرى، فإن الهادي نعمان باع زيتونه بالساحل ليطبع ديوانه "النغم الحائر"، وما تبقى من مال الزيتون دمرنا نصيبه الأوفر يوما بـــمطعم "البوزادا" ويوما بـــ "المارينبون" ويوما بـــ"مقهى باريس"(14).

من الطريف أيضا ما روي عن مراسل الأهرام عبد الحليم الغمراوي الّذي كان يجلس مع زملائه بمقهى "بار اللواء" بعابدين. وكان يرتدي بدلة سوداء في الصيف والشتاء حدادا على مصر التي يحتلها الإنجليز، وقد أقسم ألا يخلعها إلا بعد جلاء الإنجليز. وظل الغمراوي يرتدي بدلته السوداء حتى تم توقيع اتفاقية الجلاء مع بريطانيا(15).

يسجل الذوادي طرفة أخرى من مقهى محمد عبد الله بميدان الجيزة، عن أنور المعداوي الّذي لا يطيق الإنصات، وإنما يدفع بنظريته عن "الأداء النفسي"، ويضرب على صدور الحاضرين

بـــمرفقيه ليفسح السبيل لفكرتها (16). كأنه يفرضها فرضا، تأثير هذه الحركة التي يشكل أداء بـــها نفسيا يذعن له الصحاب!

ينتقل بنا الذوادي إلى مقهى "المسيري" بدمنهور، فيحدثنا عن عبد المعطي المسيري صاحب مقهى بدمنهور. كان مثقفا ثقافة عميقة تؤهله لكتابة مقالات في الصحف الكبرى، وأصدر عددا من الكتب والمجموعات القصصية ورواية طويلة في جزئين لم تر النور. وحوّل المسيري المقهى إلى صالون ثقافي يستضيف فيه كبار الشخصيات. وكانت رسالته إكتشاف أصحاب المواهب الفنية والأدبية (17).

الطريف أيضا نجده في المقهى السويسري ببغداد، التي تأسست في الأربعينيات. كانت المكان المفضل للأدباء في الخمسينيات والستينيات. وتأسست سنة 1945م رابطة سموها "جماعة الوقت الضائع" من شباب الأدباء، وجعلوا المقهى السويسري مقرا للرابطة. وتمكنت الجماعة من نشر دواوين شعر ومجموعات قصصية لأعضائها، منها ديوان بلند الحيدري "خفقة الطين" سنة 1946. وكان للجماعة مواقف من مختلف القضايا ووجهت رسائل إلى كبار الكتّاب في العالم للتعريف بنشاطهم في هذا المقهى، ويكاتبهم الرسام الريطاني "كنت وود" عن آنطباعاته الفنية عن بغداد. كما يبعث إليهم الكاتب الأمريكي وليم سارويان بأقصوصة بعنوان "مهزلة أن تموت" (18)، فناقشوها في جلسة من جلسات المقهى (19).

الهوامش:

(1) رشيد الذوادي: مقاهي الأدباء في الوطن العربي-الهيئة المصرية العامة للكتاب-بالقاهرة (مصر 1999-ص 100)

(2)المصدر السابق-ص103، 104

(3) المصدر السابق- ص 104

(4) المصدر السابق- ص 107

(5) المصدر السابق- ص 111

(6) المصدر السابق- ص 112

(7) المصدر السابق- ص بهامش صفحة 141

(8) المصدر السابق- ص 34،35

(9) المصدر السابق- ص 62

(10) المصدر السابق- ص 62،63

(11) المصدر السابق- ص 64

(12) المصدر السابق- ص 66

(13) المصدر السابق- ص 68

(14) المصدر السابق- ص 88

(15) المصدر السابق- ص 134

(16) المصدر السابق- ص 137

(17) المصدر السابق- ص150، 151

(18) ترجم حسني سيد لبيب مجموعتين قصصيتين، الأولى بعنوان "سبعون ألف آشوري" والثانية "ابن عمي ديكران". صدرت المجموعتان بحلب عام 1994م.

(19) رشيد الذوادي :مقاهي الأدباء ف يالوطن العربي —ص183، 184

الباب الرابع

صورة من قريب

(أ) الذوادي في سطور

من مواليد بنــــزرت في 8 من مارس 1936

درس في المدرسة القرآنية، ثم بالفرع الزيتوني ببنــــزرت، وأخيرا في الجامعة الزيتونية وكلية الحقوق بتونس. باشر بعدها التدريس في المعاهد التونسية بدءا من أكتوبر 1957.

في بنــــزرت، ترأس عدة جمعيات ثقافية مثل "نادي التعليم" سنة 1964، "وجمعية النهضة التمثيلية" عامي 1966و1967م. كما ترأس تحرير مجلة "صدى الشمال"، وتحمل إدارة جريدة "القنال" لسنة واحدة 1969م، وانتخب مستشارا بلديا، ثم انتخب أمينا لرئيس بلدية ببنــــزرت لثلاث سنوات أخرى.

عمل بالتدريس حيث درس التاريخ في مدارس الجيش ببنــــزرت. انتخب كاتبا عاما للجنة التنسيق الحزبي بــــها في الفترة (1980-1984م).

عمل مستشارا ثقافيا بسفارة تونس بالقاهرة فــــي الثمانينيــــات (1984-1986م).

تحمل العديد من المسؤوليات في المنظمات القومية والجمعيات الثقافية بولاية بنزرت، كما كان رئيسا لجمعية النهضة التمثيلية ببنـــزرت في السبعينيات، ورئيسا للجنة الثقافية الجهويّة في الستينيات، ونائبا لرئيس بلدية بنزرت لدوتين.

مؤلفاته:

1- يوغوسلافيا كما شاهدتها: بنزرت سنة 1962
2- بنـــزرت أرض البطولات:(بالاشتراك) — بنزرت سنة 1964
3- حسن النوري:تونس سنة 1968
4- أبطال وشهداء: بنـــزرت سنة 1968
5- أعلام من بنـــزرت: تونس سنة 1971
6- محمد الحبيب بوقطفة: بنـــزرت سنة 1971
7- أدباء تونسيون: دراسات أدبية ونقدية — ط1 تونس سنة 1972، ط2 سنة 1978، ط3 بالهيئة العامة للكتاب- القاهرة سنة 1955 بتقديم د. محمد عبد المنعم خفاجي
8- علي البلهوان: تونس سنة 1974
9- جماعة تحت السور: بتونس سنة 1975، ط2 الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة سنة 2003، بتقديم الكاتب البشير بن سلامة.

10- عظماء بلادي: سلسلة كتب مبسطة للناشئة عن أعلام تونسيين في مختلف المجالات (عشرون قصة)- تونس 1977، صدر منها: محمد العريبي زروق، فرحات حشاد، أبو القاسم الشابي، محرز بن خلف، خير الدين باشا، علي البلهوان، الطاهر الحداد، محمد الدغباجي، محمد علي الحامي، حنبعل، خلدون الحبيب ثامر، الإمام المازري، يو غرطة، إبراهيم الرياحي، عبد الرحمن بن خلدون، عبد الله بن أبي زيد القيرواني، الحصري، ابن رشيق، علي الدوعاجي، ابن الجزار، الإمام آبن عرفة.

11- هذه بنـــزرت : تونس 1980

12- إشارات أدبية :مقالات ودراسات- الشركة التونسية ط1 تونس 1982، بتقديم محمد العروسي المطوي

13- الشابي ومدرسة أبولو (بالإشتراك مع د.محمد عبد المنعم خفاجي، ود.عبد العزيز شرف) تونس 1986، بتقديم البشير بن سلامة

14- أحاديث في الأدب:الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة 1986، بتقديم أنيس منصور، تناول فيه دراسة للأدباء:توفيق الحكيم، نجيب محفوظ، د.محمد عبد المنعم خفاجي، إحسان عبد القدوس، ثروت

أباظة، محمد الصباغ، د.عبد العزيز شرف، حسني سيد لبيب، رستم كيلاني.

15- رواد الإصلاح :تونس، وطبع بالقاهرة-الهيئة المصرية العامة للكتاب-مكتبة الأسرة عام 2002

16- الرؤيا الإبداعية في أدب محمد مزالي (بالإشتراك)- القاهرة 1986، بتقديم توفيق الحكيم

17- أدباء من مصر: دراسات-مكتبة مدبولي-القاهرة 1995، بتقديم د.محمد السعدي فرهود، تناول فيه الادباء المصريين:د.زكي مبارك، توفيق الحكيم، نجيب محفوظ، د.محمد عبد المنعم خفاجي، أحمد رامي، رضوان إبراهيم، وديع فلسطين، د.عبد العزيز شرف، الهمشري، د.مختار الوكيل، مصطفى عبد الرحمن، إحسان عبد القدوس، حسني سيد لبيب، جمعة محمد جمعة.

18- رحلة في الشعر التونسي بعد أبي القاسم الشابي:القاهرة 1995

19- الخفاجي أديبا وناقدا: رابطة الأدب الحديث-القاهرة 1997، بتقديم د.عبد العزيز شرف

20- مقاهي الأدباء في الوطن العربي :القاهرة 1999وقدم هذا الكتاب الأديب الكبير الأستاذ نجيب محفوظ.

21- اتجاهات القصة التونسية القصيرة: بالاشتراك مع حسني سيد لبيب-دار الإتحاف للنشر-تونس 2003

مؤتمرات شارك فيها:

-احتفالية ألفية أبي حيان التوحيدي بالمجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة 1995

-شارك في مؤتمر مؤسسة "الأهرام بالقاهرة عن "المشروع الحضاري العربي"

-لبى العديد من دعوات رابطة الأدب الحديث وشارك بمحاضرات وندوات عن الأدب التونسي والمصري.

-شارك في مؤتمرات ومهرجانات ثقافية أخرى بليبيا والمغرب والجزائر والعراق.

كتاب عنه:

-دراسات في الأدب التونسي المعاصر: إعداد عزت عثمان أبو النصر وصدر عن (دار الجيل) بيروت.

(ب) حوار معه

جمعتني أمسية دافئة مع صديقي الكاتب رشيد الذوادي. تحدثت معه في أمور شتى، أبرزها قضايا الأدب والأدباء، كما تحدثنا عن مشروع هذا الكتاب. كان ذلك في (مقهى جروبي) بميدان طلعت حرب بالقاهرة، مساء الثاني عشر من ديسمبر 2003. قرأت كل مؤلفاته، عبر مسيرة إمتدت ثلاثة وعشرين عاما. أعرف عنه وعن كتاباته الكثير. كتبت عنه العديد من الدراسات. لكنني شردت أفكر في الجديد الّذي لا أعرفه عنه. أعرف ما كتبه الذوادي عن الأدباء وقضاياهم. كما أعرف الكثير عن رشيد الإنسان، والوفاء الّذي يتميز به. لكنني أحسست أن بداخله شيئا لم يقله، مما حفزني إلى كتابة مجموعة من الأسئلة ليجيب عنها. رأيت أن أنقل هذا الحوار كما هو أودعه أمام القارئ لعله يرنو إلى صورة شخصية من قريب..لرشيد الذوادي..أمضى عمره يكتب عن تاريخ بلاده ومظاهر الحركة الأدبية في تونس ويقتفي أثر المبدعين والباحثين، خاصة الشعراء ودارسي الشعر، بل تخطى حدود تونس ليرصد الشعوب العربية من أجل التحرر من الدخيل الأجنبي، عبر تاريخ ممتد منذ القرن الماضي، فهو وطني من طراز نادر، وعربي يستوعب

الدروس المستفادة.

س1:متى بدأت تظهر ميولك الأدبي؟ وماهي الظروف المصاحبة لظهورها؟

ج1:بدأت ميولي الأدبية في سن مبكرة بالتحديد في سنوات 1951/1949م. يومها شغفت بالمطالعة وقراءة الكتب عن طريق ما يصلنا من القاهرة من مجلات ودوريات. أذكر أنني أدخر من مصروفي الخاص القليل الّذي كان يـــمدني به والدي كل صباح لأشتري ما يصدر من دوريات عربية وقصص.

أذكر من تلك الدوريات: مجلة الهلال، ومن القصص: قصص كامل كيلاني. ومع مرور الأيام بدأت تطلعاتي تزداد خطوة إلى أن بدأت أقرأ كتاب الهلال وسلسلة اقرأ، ثم لما تأسست الرسالة الجديدة كنت أتابعها باستمرار وأقتني أعدادها بشغف.

كان هذا في مرحلة ما قبل الاستقلال، وفي فترة صعبة عاشها الشعب التونسي وهو يقاوم المحتل، الّذي كان يسعى لتغريب الشباب وطمس الشخصية التونسية. أذكر أنني بدأت أقرأ في عام 1952. أول كتاب بدأت أقرأه "مستقبل الثقافة في مصر" لطه حسين. عندما فرغت منه لم أفهم شيئا. لم أفهم ما يقصده طه حسين من الكتاب، إذ القضايا التي أثارها هذا الكتاب كانت تتجاوز سني، لذلك بادرت بالرجوع في مطالعاتي إلى مجلة الهلال،

وإلى روايات جرجي زيدان التاريخية، وإلى مؤلفات مصطفى لطفي المنفلوطي وهي "العبرات" و"النظرات" و "ماجدولين" و"الفضيلة" وسواها من الكتب المشوقة التي بدأت تظهر في سلسلة اقرأ كـــ "المعذبون في الأرض" لطه حسين و"قطر الندى" لمحمد سعيد العريان و"هاتف من الأندلس" لعلي الجارم وغيرها من كتب هذه السلسلة.

أصدقك القول إنني منذ صغري تأثرت بما يجري في مصر من نشاط فكري زاخر، ومن توهج عربي صادق بدأ مع ظهور جيل الثورة التي أطاحت بالملكية في يوليو 1952.

أصبحت بعد هذه المرحلة أتشوق إلى كل ما يصدر في مصر من أغان وأفلام. شدني صوت أم كلثوم والموسيقار فريد الأطرش ورائد الموسيقى العربية محمد عبد الوهاب. بدأت في هذه المرحلة أعيش مع كفاح الأحرار هنا وألتقط كل ما يجري في ساحات مصر عن طريق الإذاعة المصرية و(صوت العرب) والدوريات التي ترد إلينا في تونس.

كان عطشي شديدا إلى الثقافة العربية. بدأت تبرز ميولي الأدبية قليلا قليلا.

كنت في هذه السن أدرس بالفرع الزيتوني ببنـــزرت، وكانت لنا جمعية تدعى :"الشبيبة الزيتونية"، وكانت هذه الجمعية تصدر جريدة حائطية تدعى "صدى الشبيبة الزيتونة"، فكنت في هذه السن

أنشر وأكتب في هذه الجريدة الحائطية التي نناقش ما جاء فيها مساء كل خـــميس بالفرع الزيتوني. وعند ذهابي إلى العاصمة تونس، كان تعلقي شديدا بالأدب، وكنت أحضر المحاضرات وأشتري كل الدوريات العربية والتونسية الصادرة في ذلك الوقت. كانت تلك المناسبات تتيح لي أيضا رؤية الأدباء الّذين تنشر لهم الصحف مثل محمد العروسي المطوي ومنور صمادح وحسن حسني عبد الوهاب ومحمد الفاضل بن عاشور ومصطفى خريف وسواهم من الأدباء والمفكرين.

س2: من هم أساتذتك في مجال الكتابة الأدبية؟

ج2: أساتذتي في مجال الكتابة عديدون. أذكر من الأدباء الّذين وجهوا مسيرتي الأدبية: زين العابدين السنوسي ومحمد العروسي المطوي وعبد الحميد المنيف صاحب رواية و"أخيرا تزوجتها" وكتاب "أبو تمام" وسواهما.

هؤلاء الأساتذة الثلاثة أصلحوا لي بعض الموضوعات وناقشوني فيها ووجهوني الوجهة الصائبة.

وفي هذا المجال أعترف بأن الأستاذ الهادي العبيدي رئيس تحرير جريدة "الصباح" هو الّذي أخذ بيدي في عالم النشر وفتح لي مجالا واسعا للنشر في بداياتي الأدبية.

س3: هل تأثرت كتاباتك بأحداث وقعت لك في الطفولة؟

كيف؟

ج3: ليس عندي إجابة.

س4: **ما هو أول كتاب قرأته، وحبب لك الأدب؟..في أي سنة قرأت هذا الكتاب، مع ذكر مضمونه، والكلمات أو الأفكار التي ما زالت عالقة بذهنك عن هذا الكتاب؟**

ج4: أول كتاب حبب إليّ الأدب هو رواية "عذراء قريش" لجرجي زيدان. شغفت بهذا الكتاب كثيرا، ثم كتاب "العبرات" للمنفلوطي.

أذكر أنني قرأت الكتابين عام 1952. شدني "عذراء قريش" إلى ما حلّ بآل البيت من نكبة. وشدني كتاب "العبرات"، تلك القصص التي رواها لنا المنفلوطي في هذا الكتاب، وأثارتني تلك الصور التي ساقها، خاصة عن البؤساء والفقراء والمحتاجين الّذين حرموا من الماديات وحرموا من العلاج. أتاح المنفلوطي لنا التقاط الصور الشعبية من المجتمع المصري وأفاض في عبراته ما كانت تقاسيه الطبقات الشعبية من احتياج، ولعل تلك الصور هي التي لمحت إلى وجوب التغيير في تركيبة المجتمع.

وفعلا حققت الثورة المصرية الكثير من المنجزات الشعبية.

س5: هل تسببت ميولك الأدبية في تغيير مسار حياتك؟ كيف؟

ج5: ميولي الأدبية أفادتني وأضرتني. أفادتني حيث تمكنت من إصدار عدة مؤلفات وساهمت بقلمي في الكتابة في العديد من القضايا، وأضرتني حيث كنت في بداية تعلمي العالي محتارا هل أدرس الحقوق أم أدرس الآداب. ظللت سنة كاملة أتابع في الجامعة تعليمين في العالي: أدرس الحقوق وأدرس في كلية الآداب بالجامعة الزيتونية، وأخيرا التحقت بالتدريس لأنني كنت مقتنعا أنني سأكسب من الوظيفة ما يزيدني تعلقا بالأدب ومشتريات الأدب من كتب ومجلات الخ..

س 6: **الحكمة أو المقولة التي ترددها كثيرا في خاطرك..**

ج6: الحكمة التي أرددها كثيرا في خاطري:اقنع بـــما عندك، واعمل لفائدة الغير.

س7: **هل يمكنك الكتابة عن طفولتك، وآنعكاسها على شخصيتك؟**

ج7: يمكن أن أتحدث عن بعض مراحل الطفولة كمحكيات وذكريات عن المكان الذي ولدت فيه، وهو حي "الربع الجديد" ببنـــزرت. وعن أساتذتي وعن مؤدبي في الكتّاب الذي كان وطنيا وكان يعيرني بعض كتبه الدينية على وجه الاستعارة، أو عن أحداث طفولية عشتها، ورسمت لوحات قصيرة عن كفاح الوالد وأتعابه من أجل أن يتمم تعليمي ودراستي.

س 8: كتاب ندمت على تأليفه، أذكر الأسباب..

ج8: لم أندم على كتابة أي كتاب فكتبي مقروءة وكلّ كتاب بالنسبة إليّ كأحد أولادي. ونظرتي إليها هي نظرة واحدة. على أنني أهديت أحد كتبي إلى أديب تونسي ثم حذفت هذا الإهداء في طبعات تالية. حذفت الإهداء لأنني شعرت بألاعيبه فأحسست لتوي أنه ليس جديرا بـــهذا الإهداء.

س9: أية ملاحظات أخرى تجدها ضرورية لخدمة دراسة جوانب شخصيتك ؟

ج9: ليس لديّ ملاحظات. كلّ ما أرجوه أن يوفقني الله كي أكمل رسالتي من أجل التعريف بالأدباء والمثقفين الذين آحتضنوا القضايا وعاشوا في ضمائر أمتهم كـــ : نجيب محفوظ وغيره.

-صدر للكاتب حسني سيد لبيب

1- باقة حبّ للشاعر خليل جرجس خليل: دراسة أدبية "بالاشتراك مع حسين علي محمد"- القاهرة 1977

2- حياة جديدة: قصص- سلسلة "أصوات"- مصر 1981

3- أحدثكم عن نفسي: قصص- اتحاد الكتّاب العرب- دمشق 1985

4- طائرات ورقية:قصص- المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة 1992

5- كلمات حب في الدفتر: قصص- اتحاد الكتاب العرب- ط1- دمشق 1993، ط 2 بتقديم د. خليل أبو ذياب عن سلسلة "أصوات معاصرة"- بالشرقية 1997

6- سبعون ألف آشوري: قصص مترجمة- وليم سارويان- دار الصداقة للترجمة والنشر والتوزيع- حلب 1994

7- ابن عمي ديكران: قصص مترجمة – وليم سارويان- دار الصداقة للترجمة والنشر والتوزيع – حلب 1994

8- الخفاجي.. شاعرا: دراسة أدبية – تقديم البشير بن سلامة- رابطة الأدب الحديث- القاهرة 1997

9- دموع إيزيس: رواية – مركز الحضارة العربية- القاهرة 1998

10- نفس حائرة: قصص – تقديم محمد جبريل- دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر- الإسكندرية 1999

11- مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي بين الإنصاف والمغالطة: بحث- مكتبة الملك عبد العزيز العامة- الرياض 1999

12- روائي من بحري: دراسة نقدية – سلسلة "كتابات نقدية"- العدد 113- الهيئة العامة لقصور الثقافة- القاهرة- أغسطس 2001

13- اتجاهات القصة التونسية القصيرة: دراسة أدبية "بالاشتراك مع رشيد الذوادي"- دار الإتحاف للنشر – تونس 2003

14- الكرة تختفي في الأعالي: قصص-سلسلة "أصوات معاصرة" -العدد130-الشرقية 2005م

15- الكرة تختفي في الأعالي: قصص-أصوات معاصرة-العدد 130- الشرقية 2005م

المحتوى


المطبعة المغاربية للطباعة و النشر و الإشهار
الهاتف : 471 837 70 - الفاكس : 263 837 70